مجلة
كلية الآداب

مجلة علمية محكمة فصلية

العدد (٧٩) خريف ٢٠١٦

مجلة الكلية الآداب: فصلية- علملة- محكمة تعني بنشر الأبحاث العلمية في مجالات الدراسة الإنسانية اللغوية والأدبية والتاريخية والجغرافية والفلسفية والإجتماعية والنفسية والإعلامية وترحب المجلة بالإسهامات العلمية للسادة أعضاء هيئة التدريس والباحثين من العالمين العربي والإسلامي لاثراء المجلة.

قواعد النشر:-

١- تقبل المجلة البحوث باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية.
٢- يقر البحث كتابة أن بحثه لم يسبق نشره ولم يرسل لجهة أخري للنشر.
٣- يخطر الباحث بخطاب رسمي بقبول النشر في حالة إجازة البحث للنشر.
٤- تعد الخرائط والرسوم البيانية وغيرها من الإيضاحات من قبل الباحث بطريقة تجعلها قابلة للطبع.
٥- تعبر البحوث المنشورة عن رأي اصحابها فقط.
٦- أصول الأعمال المقدمة للمجلة لا ترد حتى في حالة عدم قبولها للنشر.
٧- يحصل الباحث على نسخة واحدة من عدد المجلة المنشور بها + C.D + عشر مستلات من البحث.
٨- الحجم الأمثل المقبول في حدود (٣٠ صفحة) يسدد الباحث المصري ٦٠٠ جنيها وخمسة عشر جنيهاً عن كل صفحة زائدة، ويسدد الباحث العربي والأجنبي ٣٠٠ دولار وثلاثة دولار عن كل صفحة زائدة.
٩- يسلم البحث مطبوعاً من أصل وصورتين + C.D على أن يكون مجموعاً ببنط ١٤، وأن يكون مقاس الصفحة 12x19سم.
١٠- يكتب عنوان البحث واسم الباحث ودرجته العلمية وجهة عمله في أول صفحة من البحث.
١١- تكتب المراجع والهوامش في نهاية البحث، مع الإلتزام بالأسس العلمية للتوثيق.

١٢- يرفق ملخصان للبحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يتجاوز حجم الملخص صفحة واحدة.

١٣- تنشر المجلة ملخصات الرسائل العلمية العربية والأجنبية.

١٤- تنشر المجلة بحوث معاوني هيئة التدريس كمتطلب للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة.

١٥- تنشر المجلة بحوث أعضاء هيئة التدريس بدرجة أستاذ وفق القيمة الفعلية للطباعة.

١٦- توجه حميع المكاتبات أو الإستفسارات الخاصة بالنشر إلى رئيس تحيرير المجلة على العنوان التالي.

كلية الآداب – جامعة الزقازيق

تليفون : **٠٥٥/٢٣٤٣٨٢١**

http://www.Arts@ Zu.edu.eg

مجلة كلية

مجلة كلية الآداب – جامعة الزقازيق

صدر العدد الأول ٨٦ – ١٩٨٧م

هيئة التحرير

الأستاذ الدكتور

عبد الله عسكر

عميد الكلية

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور

هناء زكريا على

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

نائب رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور

فريدة محمود النجدى

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور

محمد عبد الفتاح عوض

سكرتير التحرير

مستشارو التحرير

أ.د . عثمان محمد عثمان

أ.د . سهام جبر

أ.د . طارق زكريا

أ.د . حسن حماد

أ.د. إبراهيم المسلمى

أ.د . رضا عبد الحي شحاتة

أ.د . عبد الرحمن بشير

أ.د . إبراهيم عودة

أ.د. عواطف صالح

أسماء السادة الأساتذة محكمي هذا العدد وفقا للترتيب الأبجدي

أ.د/ إبراهيم المسلمي

أ.د/ محمد معوض

أ.د/ رأفت الشيخ

أ.د/ عبد الله احمد ابراهيم

أ.د/ حسن حماد

أ.د/ مدحت محمدي عبد المعطي

أ.د/ قاسم عبده قاسم

أ.د/ راوية حسين

أ.د/ عماد مخيمر

أ.د/ احمد محمد محمد عوين

افتتاحية العدد

يأتي هذا العدد الجديد من مجلة كلية الآداب- جامعة الزقازيق عدد ٧٩ خريف ٢٠١٦ معبراً عن جهد محمود وفكر مثمر للسادة الباحثين، حيث يحتوي على عشرة أبحاث، في مجالات اللغة العربية والدراسات الإسلامية وعلم النفس والتاريخ والإعلام.

ففي مجالات دراسات اللغة العربية، نجد بحث الدكتور/ سلامة عبد الله السويدي تحت عنوان:- الألوان وأبعادها الدلالية في شعر الهذليين، وتنصب الدراسة على استنطاق دلالة الألوان وجماليتها في شعر الهذليين ورصد مفردات الألوان والوقوف علي جمالية التشكيل، واستندت الدراسة على المنهجين الإستقرائي والوصفي التحليلي.

وفي الدراسات الإسلامية، يأتي بحث الدكتورة/ نادية عبد الهادي عبد السلام وعنوانه :- القومية ونشأتها وتطورها وموقف الإسلام منها، وتركز الدراسة على القيادات القديمة والحديثة ومدى ارتباطها ببعضها البعض وتأثيرها على الحياة في الفترة الحالية.

وفي مجال الدراسات النفسية، نجد بحثين أولهما الدكتور/ مصطفى حسن محمود عبد الرحمن تحت عنوان:- "علاج معرفي سلوكي لحالة تعاني من بعض الإضطرابات الجنسية" دراسة حالة ويتناول أهمية السلوك الجنسي في حياة الأفراد والمجتمعات، وقسم الباحث أهداف الدراسة إلى سلوكية ووجدانية وارتقائية واستخدمت الدراسة المنهج التحليلي "الإكلينكي".

أما البحث الثاني وعنوانه:- "القلق الإجتماعي والإكتئابي لدى الأمهات وعلاقته بالكف السلوكي لدى الأبناء بمدينة الرياض" للدكتورة/ صفاء صديق محمد خريبة ويتناول العلاقة بين القلق الإجتماعي والإكتئاب لدى الأمهات والكف السلوكي لدى ابنائهن، وتنقسم الدراسة إلى جانب نظري وآخر تطبيقي وقامت على المنهج الوصفي والإرتباطي المقارن.

وتتوج الدراسات التاريخية بثلاثة أبحاث، يأتي أولاها للدكتور/ بندر بن محمد بن رشيد الهمزاني وعنوانه:- "الإنحراف العقدي والخرافات والبدع لدى بعض مؤرخي مكة في العصر المملوكي"، وتركز الدراسة على أهمية العصر المملوكي في تاريخ المسلمين لما قام به في سبيل الدفاع عن الإسلام وتثبيت السنة وإعادة الخلافة.

ويأتي البحث الثاني في فرع التاريخ الإسلامي تحت عنوان:- "صورة السلطان عبد الحميد الثاني في شعر محمد عاكف أرصوي واحمد محرم" للدكتور حازم سعيد محمد محمد محاولاً رسم صورة حقيقية للسلطان عبد الحميد الثاني من خلال نظرة الشعراء العرب والترك المعاصرين له والمقارنة بينهما.

وينصب البحث الثالث في التاريخ على "العلاقات التركية العربية في ظل التغير الإستراتيجي" للباحث/ خالد عبده عبد الوهاب عزام، وتهدف الدراسة إلى الكشف عن دور تركيا كبديل استراتيجي أو كشريك استراتيجي للدول العربية مما قد يغير في خريطة المنطقة، وتأسست الدراسة على المنهج التاريخي بهدف الوصول إلى حقائق تقترب من الواقع.

وللدراسات الإعلامية نصيب في هذا العدد بثلاثة أبحاث، أولاها للدكتورة/ دعاء خليل أحمد خليل وعنوانه:- "كوميديا النقد الإجتماعي في مسرح الكاتب التركي عزيز نسين" الذي يحاول إلقاء الضوء على توظيف الكاتب التركي عزيز نسين لدعائم مسرح الوعي من خلال اسلوب كوميدي ساخر لنقد وتغيير الواقع الإجتماعي التركي عن طريق موهبته في تسجيل قصص الحياة الواقعية بتركيا.

وجاء البحث الثاني تحت عنوان:- "معالجة الصحف الدينية للقضايا المجتمعية كما يراها طلاب الجامعات المصرية"، دراسة ميدانية على عينة من طلاب جامعتي طنطا والازهر بالزقازيق للدكتور/ عبد الحكم أبو حطب، ويبرز لأهمية الدور الذي تقوم به الصحف الإسلامية في معالجة قضايا المجتمع منها النفسي والديني والإجتماعي والإقتصادي والثقافي، وركزت الدراسة على عينة من الشباب في سن ١٨ – ٢٤.

أما البحث الثالث وعنوانه:- "دور المواقع الإلكترونية في إمداد المرأة المصرية بالمعلومات الصحيحة" دراسة ميدانية للباحثة/ فاطمة عبد الرحمن محمد ويتناول التأثير الكبير لوسائل الإعلام على التثقيف الصحي للمرأة دون تحديد موضوعات بعينها أو مرحلة عمرية معينة وحددت الدراسة كافة الموضوعات الصحية التي تهم المرأة المصرية منذ ولادتها وحتى وفاتها.

وفي نهاية هذا العرض الموجز لهذا العدد، لا يسعني سوى أن اتمنى خالص التوفيق والسداد للسادة الباحثين الذين وثقوا في مجلتنا الغراء، وأتقدم بخالص الشكر للسادة العلماء الأجلاء الذين قاموا بتحكيم الأبحاث المنشورة بصدره.

والله المستعان،،

أ.د/ **هناء زكريا علي**

المحتويات

الألوان وأبعادها الدلالية في شعر الهذليين
أ.د/ سلامة عبد الله السويدي..... ١
(دور المواقع الإلكترونية في إمداد المرأة المصرية بالمعلومات الصحية)
الباحثة/ فاطمة عبد الرحمن محمد ٢٩
العلاقات التركية العربية فى ظل التغير الاستراتيجي
الباحث/ خالد عبده عبد الوهاب ٦٥
الانحراف العقدي والخرافات والبدع لدى بعض مؤرخي مكة في العصر المملوكي
د. بندر بن محمد بن رشيد الهمزاني ٨٣
صورة السلطان عبد الحميد الثاني في شعر محمد عاكف أرصوي وأحمد محرم
د. حازم سعيد محمد منتصر ١٢٩
القلق الاجتماعي والاكتئاب لدي الأمهات وعلاقته بالكف السلوكي لدي الأبناء بمدينة الرياض
د. صفاء صديق محمد خريبه..... ١٧٧
كوميديا النقد الاجتماعي في مسرح الكاتب التركي عزيز نسين
د. دعاء خليل احمد خليل ٢٤٣
معالجة الصحف الدينية للقضايا المجتمعية كما يراها طلاب الجامعات المصرية
د. عبد الحكم أبو حطب..... ٢٦٩
القومية (نشأتها وتطويرها وموقف الإسلام منها)
د. نادية عبد الهادي عبد السلام احمد..... ٣١٩
علاج معرفي سلوكي لحالة تعاني من بعض "الاضطرابات الجنسية" دراسة حالة
د. مصطفى حسن محمود عبد الرحمن..... ٣٧١

القومية (نشأتها وتطويرها وموقف الإسلام منها)

د. نادية عبد الهادي عبد السلام احمد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلي آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد لقد ظهرت في الآونة الأخيرة مصطلحات ومترادفات كثيرة يدل البعض منها علي غزو فكري وعلي تغريب وعلي ظهور تيارات ربما كان البعض منها قديما، لكن لم يكن متداول بين الناس أو كان بمسمى آخر، ومن هذه المصطلحات مصطلح القومية الذي أخذ يتردد وأصبح هناك من ينادي بها شرقا وغربا فما هي القومية؟ البعض يراها خير محض فهي تدعو إلي التآلف والترابط ومراعاة مصلحة الجميع وأن في الاتحاد قوة وهي ثورة علي الانعزالية وهي ربط بين الماضي والحاضر، والبعض الآخر يراها ثورة علي الماضي وهدم له ورجوع إلي الجاهلية بعد أن أنقذنا الله بالإسلام، وهناك من يرى عدم معارضتها للدين وهناك من يرى أنها علي طرف النقيض من الدين. وهل هي تيار قديم أم حديث؟ متى نشأت والمراحل التي مرت بها وما أسباب نشأتها؟ وما هي استخداماتها؟ وما مظاهرها، وماذا عن موقف الإسلام منها؟ الإجابة عن كل هذه الأسئلة في طيات هذا البحث بإذن الله تعالي. وقد كان من أسباب اختياري لهذا الموضوع هو حبي لدراسة مادة التيارات قديمها وحديثها والوقوف علي مدى ارتباط بعضها ببعض وتأثيرها علي حياتنا، خاصة في ظل تلك الآونة التي اختلط فيها الصحيح بالسقيم والحق بالباطل، فأردت أن أقف علي هذا التيار لنبينه للناس خيره من شره، لنكون على بينة من أمرنا، ثم بعد ذلك نقبل أو نرفض لان دعاتها يبررون ومعارضيها يبررون فأين الحق من هذا وذاك سنبين ذلك كله ثم نبين في النهاية نتائج هذا البحث وما توصلنا إليه من توصيات ومن الله استمد العون والتوفيق وهو من وراء القصد وهو يهدي السبيل

خطة البحث: يحتوي هذا البحث على مقدمة وثلاثة مباحث واليك تفصيلها. المقدمة وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره **المبحث الأول ويحوي ثلاثة مطالب**. المطلب الأول تعريف القومية لغة واصطلاحا. المطلب الثاني: الفرق بين القومية والوطنية، واستخدامات القومية. المطلب الثالث: الأسس التي تقوم عليها القومية. **المبحث الثاني ويحتوي علي تمهيد وثلاثة مطالب. تمهيد:** نشأتها وتطورها، عناصر تكوينها وتشمل عناصر جغرافية وعناصر حضارية وتاريخية، المصير المشترك، الثقافة المشتركة، واللغة. دور الثورة الفرنسية في اندلا ع الثورات القومية وتشمل: فرنسا- ألمانيا- الولايات المتحدة

المطلب الأول: مرحلة ما قبل للإسلام.وتضم أيضا الثورة القومية الثانية.

المطلب الثاني: مرحلة الدولة الإسلامية.

المطلب الثالث: مرحلة العصر الحديث

المبحث الثالث: ويحوي أربعة مطالب.

المطلب الأول: أسباب ظهور القومية في الغرب الأوربي.

المطلب الثاني: انتقالها إلي الدول العربية وأسباب ذلك.

المطلب الثالث: الآراء في تعارض وتوافق القومية والإسلام.

المطلب الرابع: نقد الفكر القومي.

الخاتمة وفهرس المراجع والمحتويات

وفي النهاية أسأل المولي العلي القدير أن أكون قد وُفقت فيما هدفت إليه، أن أكون قد أجبت علي الأسئلة المطروحة في بداية البحث، وأن يجعله الله تعالي في ميزان حسناتي، أن يغفر الله لي زلاتي وأخطائي (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا علي القوم الكافرين) وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المطلب الأول: تعريف القومية لغة.

القومية: مصدر صناعي بإضافة ياء النسبة وتاء التأنيث إلى القوم، والقوم في المصدر قام، ثم غلب على الرجال دون النساء لأنهم قوامون على النساء. وقوم كل رجل: شيعته وعشيرته.[1]

وأيضا القومية: كلمة مشتقة من المصدر قوم أي جماعة من الأفراد يربط بينهم مجموعة من الخصائص والمقومات تميزها عن باقي الجماعات، هذا هو التعريف البسيط واللغوي للقومية، وقد ورد لفظ قوم في القرآن الكريم كثيرا، فقد قال الله تعالي علي لسان جميع رسله وأنبيائه عليهم جميعا صلاة الله وسلامه يا قوم ما عدا محمدا صلى الله عليه وسلم لأنه رسول للناس كافة فقال تعالي علي لسان نوح أول رسله **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)(٥٩) الأعراف**، والآيات التي تليها تتحدث عن خطاب الأنبياء والرسل لأقوامهم بهذا المصطلح بدءا من سيدنا نوح إلي غيره من إخوانه الأنبياء،

[1] انظر: لسان العرب (١٢/٥٠٥) والنهاية في غريب الحديث لابن الاثير (٤/ ١٢٤)

فهل المقصود بقول الأنبياء لأقوامهم يا قوم القومية بهذا المعني أم ماذا؟ سيتضح لنا ذلك بعد التعريف والمناقشة.

تعريف القومية اصطلاحا: تعددت تعريفات القومية شأنها في ذلك شأن بقية المصطلحات الواردة إلينا والتي لم تكن متداولة ولكنها ظهرت حديثا، فكل من عرفها نظر إليها من منظور مختلف حسب البيئة والظروف المحيطة لنشأة هذا المصطلح، وقد اخترت من هذه التعريفات ما يلي. قيل هي: مبدأ سياسي اجتماعي يفضل معه صاحبه كل ما يتعلق بأمته على سواه مما يتعلق بغيرها، وقيل هي: عقيدة تصور وعيا جديدا يمجد فيه الإنسان جماعة محدودة من الناس يضمها إطار جغرافي ثابت، ويجمعها تراث مشترك وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة.[٢]

وقيل هي: مجموعة من الناس، والتي ربما تنحدر من سلالة واحدة أو سلالات متعددة، تعيش في رقعة جغرافية معينة متواصلة وتمارس أنماط إنتاج اقتصادية متشابهة أو متكاملة فيما بينها' من ثقافة ولغة وتاريخ وتنظيم اجتماعي وسياسي مشترك.[٣]

وقيل هي: إيديولوجية وحركة اجتماعية سياسية نشأت مع مفهوم الأمة في عصر الثورات (الثورة الصناعية، الثورة البرجوازية، والثورة الليبرالية) في فترة أواخر القرن الثامن عشر.[٤]

قال ماتزيني: إن القومية هي انتماء جماعة بشرية واحدة لوطن واحد شريطة أن يجمعها تاريخ مشترك ولغة واحدة في أرض هذا الوطن[٥] وقيل: مذهب يدعو إلى تجاوز حدود الدول وإقامة اتحاد بين الشعوب والأمم. ووحدة الأهداف بين طبقات اجتماعية أو تكتلات حزبية متشابهة في عدد من البلدان.[٦]

---

[٢] القومية العربية للشيخ /عبد الله عزام صـ٤.

[٣] القومية وأثرها المدمّر على وحدة الأمة الإسلامية للاستاذ / كمال حبيب صـ٦.

[٤] الإنسان والحضارة /عبد الوهاب المسيري صـ١٩٤، مصطلحات الفكر الحديث /سامي خشبه /ج ٢ صـ١٥٦.

[٥] المرجع السابق جويسبي ماتزيني: فيلسوف وسياسي ايطالي ولد في جنوة ١٨٠٥ كان مهتما بالأدب والسياسة قاد العديد من المظاهرات في بلاده، أنشأ جمعية ايطاليا الفتية لتحقيق حلمه لتوحيد ايطاليا توفي عام ١٨٧٢ في جنوة؟ انظر الموسوعة الحرة ويكيبديا.

[٦] الخطوط والتعاريف الاصطلاحية في المعاجم والموسوعات الأوروبية بحث لـ راوول جيراردة ومانويلا سيميدة صـ٣

وقيل هي: صلة اجتماعية وجدانية تنشأ من الاشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع وقد تنتهي بالتضامن والتعاون إلي الوحدة كالقومية العربية[٧] رأينا عدة تعريفات تتمحور جميعها حول القومية علي أنها حركة سياسية اجتماعية، ولكن هناك من تناولها من جانب ديني فقال: **إنه خلاف مرير بين القوميين على تعريف القومية ولكنهم جميعا متفقون على أن إبعاد الدين خصوصا الإسلامي أمر حتمي لانتعاشها. إذن فالقومية فكرة وضعية نشأت أول ما نشأت في البلاد الأوروبية شأن غيرها من الحركات والأفكار التي تبحث عن التفلت من رابطة الدين**.وذلك يتضح من التعريفات التي لم تجعل الدين أحد عناصرها، وسيأتي الحديث عن ذلك في حينه، **وهنا سؤال يطرح نفسه هل القومية هي الوطنية، أم أنهما مختلفتان؟ كما أنها كانت تسمى قديما عصبية وقبلية فما الفارق بين تلك المصطلحات؟ الجواب يتضح بالتعريف فإذا عرف المعني اتضح المغزي المطلب الثاني: الفرق بين الوطنية والقومية تعريف الوطنية:– يوضح لنا هذا الفرق الأستاذ كمال غبريال في هذا المقال فيقول:** إن الفارق بين 'الوطنية' و'القومية' يتبدى وفق مقاربتنا هذه في طبيعة العلاقة بين الفرد والكيان الجمعي، كذا في اختلاف طبيعة ذلك الكيان في المفهومين، ويلزمنا للتقدم خطوة أبعد أن نضع تعريفاً لهما،، والتعريف مفيد على الأقل في هذه المداخلة فقط، لتوضيح ما نهدف إلى مقاربته: 'الوطنية' شعور متوهم لدى الفرد بالانتماء إلى امتداد جغرافي، بكل ما يضمه من معالم جغرافية وبشر، تربط بينهم منظومة من العلاقات، على أساس الملكية المشتركة لهذا الكل المسمى وطن، وملكية الفرد للوطن هنا ليست ملكية محاصصة بين الفرد أو الجماعة وباقي الأفراد والجماعات، بحيث يتحدد حجم الملكية بناء على نسبة الفرد أو الجماعة إلى المجموع الكلي، ولكنها ملكية مشاعة، يمتلك كل شريك فيها 'الوطن' كاملاً، بشرط أن يمارس حقه في تلك الملكية بما لا يعوق ممارسة باقي الأفراد لحقوق ملكيتهم بنفس المقدار، بهذا يكون القول بتساوي جميع المواطنين في الحقوق والواجبات ليس من قبيل المثل الأخلاقية العليا أو التقوى والكرم الحاتمي، وإنما يكون مجرد توصيف لطبيعة العلاقة بين الأفراد، والتي يحتمها مفهوم الوطنية ذاته، وبالتالي يكون أي اختلال في تطبيق قاعدة المساواة المطلقة هذه خللاً في أساس بناء الوطن المحكوم بمفهوم الوطنية

[٧] انظر المعجم الوجيز/ إصدار مجمع اللغة العربية صـ٥٢١

أما 'القومية' لغوياً انتساب الفرد إلى كيان أكبر هو 'القوم'، أي إلى مجموعة من البشر، يربط بينهم رباط محدد، قد يكون العرق أو الدين أو امتلاك الموطن بالوراثة، نلاحظ أنه وفقاً لذلك التعريف، الذي نركز عليه وحده، دون سائر ما يمكن أن يرد من تعريفات، أن العلاقة بين الفرد والامتداد الجغرافي علاقة غير مباشرة، ولنا التفريق بين مفهومين: 'الوطن' و'الموطن'، ففي حين أن انتماء الفرد يكون مباشرة للحيز الجغرافي (والبشر أيضاً) في حالة 'الوطن'، فإن علاقة الفرد 'بالموطن' تكون علاقة غير مباشرة، بل وقابلة للتغير مادام سيظل برفقة 'القوم'، كما نستطيع أن نقول أن مغادرة 'المواطن' لوطنه بالهجرة المؤقتة أو الدائمة لا تلغي حقه في امتلاك وطنه، ما لم يتخل هو طواعية عنه، ونستطيع القول أنه قد غادر 'القوم'، لكنه لم يتنازل عن ملكية 'الوطن'، من هنا شرعية احتفاظ المهاجر بجنسيته الأصلية، رغم حصوله على جنسية جديدة.

مفهوم 'القومية' بهذا يستبعد مفهوم الوطن، ليستبدله بادعاء 'القوم' امتلاك الموطن، ذلك المكان الجغرافي الذي غالباً (بل ودائماً) ما يستوطنه أفراد أو مجموعات لا يندرجون تماماً ضمن تعريف 'القوم' المهيمنين على 'الموطن'، هنا يصبح مصير هؤلاء المهمشين معلقاً وحرجاً، وقد يواجهون بدعاوى أنهم وافدون على تلك الأرض وليسوا أصلاء فيها، وعلى ذلك فالكيانات 'الوطنية' قد تتنافس فيما بينها، سعياً من كل منها لتحقيق صالحها، لكن مع ذلك تكون مجالات التعاون فيما بينها أيضاً رحبة ومتوقعة، في غياب افتراض التضاد الكبير بين صالح الإنسان هنا وهناك، أما الكيانات 'القومية' فلأنها تعتمد بالأساس على العنصر البشري في التكتل، فإنها تكون أقرب إلى منحى الصراع مع غيرها من الكيانات

نخلص من هذه المقاربة إلى ادعاء، أن عصر العولمة وحقوق الإنسان، وعصر حرية وسهولة حركة البشر، كذا تداخل علاقاتهم ومصالحهم وارتباطها، كل هذا يجعل من الكيانات 'القومية' حجر عسرة في مسيرة البشرية، تلك المسيرة التي تتخطى الآن مرحلة الكيانات 'الوطنية' الأكثر تقدما لتعبر إلى عصر التكتلات والشركات العابرة للجنسية، لتجعل العالم كله وحدة واحدة عامرة بالتنوع.[٨]

[٨] مقال للأستاذ كمال غبريال بتاريخ ١٢ فبراير ٢٠٠٨

إذن هناك فارق بين القومية والوطنية من وجهة نظره، ولكننا نري أنه في نهاية حديثه عن الفرق بينهما انتهي إلي أنه لا فرق وخاصة في ظل العولمة والحدود المفتوحة والثورة التكنولوجية حيث لم تعد هناك حدود، ولا خصوصية، إذن نستنتج من ذلك أن هذه الفروق هي فروق مصطلحية فقط؟ أم ماذا؟ إذا كان الصراع الذي يتحدث عنه بسبب القوميات فان هذا النبت زرع استعماري يريد تفرقة الدول وأبنائها ليظل هو المسيطر وينفذ سياسته المقيتة (فرق تسد) كما أن تحديد العلاقات سواء كانت جغرافية أو سياسية واجب وليست الأمور مشاعا ليحافظ كل على هويته وثقافته حتى في ظل العولمة.

استخدامات القومية:

للقومية استخدامات عديدة منها

تستخدم كلمة "قومية" بشكلٍ أساسي للدلالة على مظاهر الوجدان والسمات القومية.
قد يتخذ هذا التعبير معنى سياسي (وهنا يطبق على مطالبات وتطلعات القوميات الخاضعة للاستعمار الأجنبي وقد يقصد بها معنى اقتصادي (فيلتبس معناه هنا مع معنى كلمة "التأميم.
وقد يقصد بها معنى ديني ("عقيدة تكون وفقها بعض الأمم موضوعاً لتمييز إلهي"
وقد يقصد بها الحماسة الوطنية (وهي للتعبير عن شكل مبالغ فيه ومتحيز.
وقد يقصد بها الدلالة علي الظرف والحال أي "قوميا" وهذا التعبير لم ينتشر إلا في أواسط القرن التاسع عشر.[٩]

المطلب الثالث: الأسس التي تقوم عليها القومية

من خلال التعريفات السابقة للقومية تبين لنا أنها تقوم علي عدة أسس منها:

اللغة والدين:- لقد اعتمد كثير ممن يهتمون بالقومية بجعل اللغة محوراً مهما وأساسا من أسسها التي تقوم عليها ومثالنا علي ذلك القومية العربية، فقد اعتبر القوميون العرب أن اللغة هي أساس القومية العربية والجميع يدافع عن القومية تحت مظلة اللغة الواحدة وان اختلفت أجناسهم وأديانهم، كما أراد البعض الآخر من العرب أن تكون القومية إسلامية يكون الدين قوامها وأساسها وأن اللغة ستأتي حتما لان المسلمين تجمعهم جميعا لغة واحدة في تعبدهم وعبادتهم.

[٩] الخطوط والتعاريف الاصطلاحية في المعاجم والموسوعات الأوروبية بحث لراوول جيراردة ومانويلا سيميدة. ص٥

الأرض والجغرافيا:- فهناك من جعل الأرض التي تضم من عليها من البشر حتى ولو كانوا مختلفي الدين واللغة والتاريخ وقد اخُتصت القومية للتعبير عن المطالبات التي تستند إلى مبدأ السيادة القومية للشعوب المستعمَرة المتطلعة إلى التحرر وبناء الدولة- الأمة. "وقد تجلّى هذا الأساس في الثورة الفرنسية تجلياً إيديولوجياً وسياسياً بارزاً. فالثورة الفرنسية زعمت أنها تؤسس ((أمة جديدة))، لا علاقة لها بالمرجعية البيولوجية (دم الأسلاف أو الأمة الدينية)؛ بل مرجعيتها الوحيدة هي قرار حر من المواطنين الذين يريدون العيش متضامنين في ظل قوانين يسنّونها هم دون قيد.

لذلك ضمت هذه الأمة الجديدة الشعب الذي اشترك في الثورة بفئاته المختلفة الأصول، والمكونة من ناطقين باللغة الفرنسية ومن غير الناطقين بهذه اللغة على قدم المساواة، فقد حدث اندماج تدريجي على مر القرون لشعوب مختلفة الأصول هجرت لغاتها فتفرنست لغوياً وثقافياً. ثم أنشأت الجمهورية نظام التعليم الحديث الذي عجّل التطور، وأكمل المشروع فخلق وحدة ثقافية- لغوية متينة فعلاً.[١٠]

التاريخ:- البعض جعل القومية وبناء الدولة أو الأمة على أساس التاريخ والمثال على ذلك ألمانيا "فالقومية هناك لم تكن وطنية مبنية على اختيار حر (عقد اجتماعي)؛ بل أصبحت قومية تلجأ إلى مرجعية عرقية، ميثولوجيا الأسلاف والدم. فهذه المرجعية هي بدورها دعوة للبحث عن جذور (حقيقية أو وهمية) في الماضي البعيد للقبائل الجرمانية. وتقيم أدبيات علم الاجتماع الألماني دليلاً واضحاً على هذا البحث؛ حيث أنها ابتدعت مصطلحاً خاصاً للإشارة إلى تلك الجماعة الوهمية القديمة المزعومة (والمصطلح الألماني هو هنا Gemeinschaft) والمعتبرة أصل القومية الألمانية الحديثة. فهذه الإيديولوجية لم تطرح نفسها على أنها قطيعة مع الماضي، بل على أنها بعثاً له. ومما ترتّب على هذا الموقف أن هذه الإيديولوجية نظرت إلى التراث الديني الجرماني القديم على أنه عنصر من عناصر تكوين الأمة. فهي إذن إيديولوجيا عرقية ورجعية، نظرة بيولوجية للإنسان، أدت في نهاية المطاف إلى الإجرام النازي، ولم تُستأصل حتى الآن من الوعي العام في ألمانيا.[١١]

---

[١٠] الخطوط والتعاريف الاصطلاحية في المعاجم والموسوعات الأوروبية بحث لراوول جيراردة ومانويلا سيميدة صـ١٢

[١١] انظر كتاب في مواجهة أزمة عصرنا للدكتور/ سمير أمين، الفصل الثامن.

المبحث الثاني: المطلب الأول: نشأة القومية وظهورها:

يكمن خلف تعدد المعاني والتعريفات واللبس الذي أصاب كلمة "قومية" تاريخ اصطلاحي حديث، لكنه معقد بشكلٍ كبير.و يبدو أن التعبير "قومية" الذي بدأ استعماله في بريطانيا وفرنسا خلال القرن التاسع عشر، لم يتوقف عن اكتساب معانٍ جديدة متتالية، مشتقة الواحدة من الأخرى لكن غير قابلة للتحوّل من واحدة إلي الأخرى، من ناحية أخرى، يبدو أن أكثر هذه المعاني استعمالاً استمرّت في الزمن المعاصر، لكن مع اختلاف ملموس في اللغة الانجليزية، والفرنسية، والألمانية والايطالية ومن المحتمل أن يكون التعبير ذا أصول بريطانية، ويعود ظهوره إلى بدايات القرن الثامن عشر: فالصفة "قومي" قد أشير لها منذ عام ١٧١٥، قبل ظهور الاسم الموصوف "قومية" بزمن طويل. إلا أن استخدامها بقي محدوداً لفترة طويلة: فالصفة والاسم الموصوف لم يتواجدا في الطبعة الرابعة من قاموس صموئيل جونسون لعام ١٧٧٣ حيث نجد فيه كلمة "امة" "nation" وscript nationally للدلالة على الظرف والحال، أما "قومياً". في واقع الأمر لم ينتشر هذا التعبير إلا في أواسط القرن التاسع عشر ولم يأخذ مكانه نهائياً في جميع القواميس إلا في نهايته، لكنه بقي مغفلاً في طبعات الموسوعة البريطانية لأعوام ١٩٠٢ و١٩١٠ وقيل أنه: لم تعرف القومية، نظرياً، بمعناها الحديث إلا في نهاية القرن الثامن عشر وتطورت في القرن التاسع عشر لدرجة إنشاء دول على أساس الهوية القومية. قبل ولادة عصر القوميات فقد بنيت الحضارة على أساس ديني لا قومي، وسادت لغات مركزية، وكان أول من استخدم هذا المصطلح هو جويسيبى ماتزينى الزعيم والسياسي القومي الإيطالي للمرة الأولى– نحو عام– ١٨٣٥.

ومنذ تنبه المؤرخون والسياسيون لدلالته المهمة في الثقافة الغربية، احتل مفهوم القومية مكانة بارزة في الفكر السياسي والتاريخي والاجتماعي والثقافي، ولكن تناقض دلالته واختلاف الدور التاريخي والاجتماعي والفكري للنزعة القومية وللفكرة القومية نفسها هو ما أثار اهتمام غالبًا مناطق أوسع من أصحاب اللغة هذه فكرة عامة وألان نلقي الضوء على تفصيل هذه النقطة.

المراحل والأماكن التي ظهرت فيها القومية: إذا أردنا أن نؤرخ لظهور القومية تاريخيا، فان ذلك يتطلب منا أن نرجع إلى ما قبل ظهور المصطلح الحديث للقومية لنرى هل لها جذور قديمة أم أنها مصطلح حديث، وبذلك فإننا سنرجع إلى بداية تكوين الدولة وذلك يرجع إلى ما قبل التاريخ، ولنبدأ بظهوره في الدولة العربية إن فكرة القومية قديمة قدم الاجتماع البشري، ولكنها كانت تسمى

قديما (عصبية فالعصبية التي كانت تجمع أفراد كل قبيلة هي في الواقع القومية، وكان من صفات القبائل التنقل والترحال وراء الماء والكلأ، فلما عرفوا حياة الاستقرار بدأ حب المدينة أو القرية التي أقاموا فيها وهذا ما يمكن تسميته وطنية، فالوطنية هي حب الوطن والقومية هي حب الأمة، ولما كان الوطن هو قطعة من الأرض والأمة جماعة من البشر فان الوطنية هي ارتباط الفرد بقطعة من الأرض تعرف بالوطن والقومية هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر تعرف بالأمة وهنا يتبين لنا أن الفارق بين الوطنية والقومية لا يوجد كما أراد الأستاذ كمال غبريال أن يثبت، لان كلا منهما مكملة للأخرى، ومن كلا الأمرين تكون المجتمعات، وقد مر تاريخ الأمة العربية بمراحل نبينها كالتالي. **مراحل التكوين التاريخي للأمة العربية**، ينقسم إلي ثلاثة أطوار، وهذا التقسيم يعتمد علي مقياس الإضافات النوعية في صناعة هذا التاريخ، وفي سبيل ذلك فقد اعتبرنا أن بناء الدولة العربية في ظرفها ومكانها، معيارا نوعيا، إضافة إلي ذلك بما أنجزته الدولة ذاتها من متغيرات حضارية أسهمت في تراكم التراث الإنساني. لهذا وإذا حسبنا أن الدولة مظهر من أهم مظاهر أي أمة من الأمم، فسنعتبر قيام أول دولة عربية مقياسا لدراستنا، لذا فإننا سنعتمد هذا المعيار في تقسيم الأطوار والمراحل التي مرت بها الأمة العربية، ولان الدعوة الإسلامية بايدولوجيا دينية، شكلت حلقة وسيطة بين الطور التاريخي الذي عاشته الأمة قبل الإسلام، وبين معالم ومظاهر اتجاهاتها لبناء دولة وضعية، فسنقسم مراحل دراستنا إلي ما يلي: ١/ مرحلة بداية التكوين القومي الذي سبق الدولة الدينية الإسلامية ٢/ مرحلة بناء أول دولة عربية في ظل الايدولوجيا الدينية الإسلامية ٣/ مرحلة بناء الدولة العربية القومية، وهو الطور الحديث والمعاصر.

١– المطلب الأول: مرحلة ما قبل الإسلام.

الذي سبق ولادة القومية العربية في ظل الايدولوجيا الدينية الإسلامية وتنقسم إلي مرحلتين: **المرحلة الأولي وهي مرحلة التكوين وتتمثل في** عوامل الغزو المتبادل بين ممالك ذلك الطور، وغزو الإمبراطوريات لبعضها وكذلك عوامل التقدم على مستوى التجديد في الحضارة المدنية والاكتشافات العلمية الجديدة في زمانها ومكانها، وانتهاء بعوامل التجديد الروحي بدءا من نشأة الأديان المتعددة الآلهة وصولا إلي نزول الرسالات السماوية التي نادت بوحدانية الإله **أولا**: مراحل الغزو بين شعوب منطقة الهلال الخصيب ووادي النيل وقبائلهما والتي عززت عوامل التزاوج والتمازج الحضاري. مع الاعتبار أن عوامل التكوين القومي للشعوب لا يجوز محاكمتها علي أُسس من معايير

المفاهيم المعاصرة للتقدم الاجتماعي والسياسي والفكري والتكنولوجي، بما فيها من مفاهيم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وباعتبار ما توافر من ثقافة عامة عن تاريخ مراحل التكوين الأولى للعروبة، والتي تؤكد أن تلك المراحل التي تمتد إلي ألاف السنين قد بُنيت علي أيدي الملوك الطغاة، وعلي جماجم الشعوب التي كانت تتعرض لغزوات من هم أقوى منهم كما أنني لم أجد حضارة ذات بنية مادية أو فكرية في ذلك التاريخ إلا وكان بُناتها من الجبابرة الذين بطشوا بشعوبهم وبالشعوب الأخرى ولقد اتفق الباحثون حتى الآن علي أن تاريخ المنطقة العربية، تحديدا المنطقة الممتدة بين بلاد ما بين النهرين ووادي النيل، يمثل بداية الخلق علي الأرض، وتاريخها يسبق السبعة ألاف سنة قبل الميلاد، في هذه المنطقة ارتقت أول خلية بشرية إلي مستوى العشيرة، ومنها إلي مستوي المملكة التي ضمت إليها عددا من العشائر والقبائل، وهذا لا يدعنا نغفل أن بناء الممالك قام علي عامل القوة التي استخدمتها العشيرة الأقوى في غزو العشيرة الأضعف واستعبدتها واستو لت علي ثرواتها، ومنها عرفت تلك المراحل من هذا الطور صيغة الممالك التي اكتسبت اسم السلالات العشائرية التي كان لها السيادة والسلطة والأمثلة على ذلك.

١- حضارة بلاد الرافدين

كانت بلاد ما بين النهرين أو بلاد الرافدين من أولى المراكز الحضارية في العالم، ومع ازدهار الحضارات فيها وفي أوقات متزامنة ومتعاقبة تم احتلال الأراضي المجاورة شرقا في إيران وغربا في سوريا وصولا إلي فلسطين، وحينما تقدمت حضارة الفرس تم احتلال بابل وما بعد بابل علي يد قورش حتى جاء الفتح الإسلامي، وكانت الحاجة للدفاع من الدوافع التي ساعدت علي تشكيل الحضارة الأولي في بلاد الرافدين، وهذا يعود إلي سنة ٦٠٠٠ ق.م وظهرت المدن في الألفية الرابعة ق.م ومن انجازاتها اختراع الكتابة المسمارية، قانون حمو رابي وهو من أقدم مجموعات القوانين، وجود أقدم شكل للمنطق عند البابليين.

٢- حضارة وادي النيل

كانت حضارة قدماء المصريين منفردة بسماتها الحضارية وانجازاتها الضخمة، منذ سنة ٥٠٠٠ ق.م إلي سنة ٣٠ ق.م ومن انجازاتها إقامة أقدم مرصد في العالم حسب الشمس والنجوم، إقامة البنايات الضخمة مثل الأهرامات والمعابد والمقابر وفن التحنيط.

٣- **حضارة الفينيقيين في سوريا ولبنان.**

ويمكن تتبعها في المنطقة الممتدة من جبل الكرمل في فلسطين جنوبا إلي اللاذقية في سوريا شمالا مرورا بكل لبنان، وهذه المنطقة عرفت باسم كنعان ومن انجازاتها اكتشاف النجم القطبي الشمالي لتحديد الاتجاهات، تطور علم الجغرافيا بسبب رحلاتهم وتجارتهم واكتشافاتهم.

٤- **حضارة شبه الجزيرة العربية**

بعد تفرق بني نوح أول من نزل اليمن قحطان، وهو أول من ملك أرض اليمن ثم مات قحطان وملك بعده ابنه يعرب، ثم ملك بعده ابنه يشحب، ثم ملك بعده ابنه عبد شمس وهو الذي بني سد مأرب، ويعتقد أن السبأيون قد أسسوا مجتمعهم ما بين ١١٠٠- ١٠٠٠ قبل الميلاد، وانهارت حضارتهم حوالي ٥٥٠ بعد الميلاد بسبب الهجمات التي كانوا يتعرضون لها من جانب الفرس والدولة الحميرية ومن انجازاتها بناء سد مآرب[١٢] ويشير إلي قريب من هذه الإحداث الدكتور علي حسن الخربوطلي في كتابه (محمد والقومية العربية) بشئ من التفصيل وان كان ينحصر في تاريخ الجزيرة العربية، وفي هذه المرحلة كانت بداية تكوين دولة صغيرة.

ثانيا: غزو الإمبراطوريات لبعضها من خارج المنطقة

١- **الإمبراطورية الفارسية** تأسست الإمبراطورية الفارسية عام ٥٥٩ ق.م بواسطة قورش، وتعرف بدولة الفرس أو الدولة الكسروية، وكانت من أعظم وأكبر الدول التي سادت المنطقة قبل العصر الإسلامي، حتى أنها فاقت الإمبراطورية البيزنطية في الشهرة والقوة، وكان أكثرهم علي المجوسية ومنذ القرن الثالث الميلادي صارت الزرادشتية دينا للدولة وهي تقوم على أن للعالم الهين اله للنور واله للظلمة ويقدسون النار وأقاموا لها المعابد في أرجاء الدولة ويعرف رجال الدين الزرادشتيون بالموابذة وكل منهم يرأس مجموعة تسمى الهرابذة وهم الذين يخدمون النار في كل معبد.

---

[١٢] انظر دراسة تاريخية ومعرفية في عناصر تكوين القومية العربية للأستاذ/ حسن خليل غريب بتصرف الحوار المتمدن- العدد: ٣٠٢٠- ١٠/٦/٢٠١٠- ١٢: ١٠ المحور: القومية، المسألة القومية، حقوق الأقليات وحق تقرير المصير. وانظر محمد والقومية العربية للدكتور /علي حسن الخربوطلي.

٢- **الإمبراطورية اليونانية** وهي تمتد من عام ٤٧٨ ق. م وكان من أهم مراحلها المتعلقة بالمنطقة العربية مرحلة الاسكندر المقدوني والتي بدأت منذ عام ٣٣٤ ق. م باحتلال إمبراطورية الفرس وبعد معركة أيسوس عام ٣٣٣ ق. م احتل سوريا وفي عام ٣٣٢ ق. م دخل مصر وغادرها عام ٣٣١ ق. م ليواصل حروبه ضد الفرس.

٣- **الإمبراطورية الرومانية** بداية تكوين هذه الإمبراطورية كان بالصراع بينها وبين قرطاجة، وكان هذا الصراع صراع تجاري ثم أخذ أبعاد عسكرية منذ عام ٢٦٤ ق.م واستمر حتى عام ٢٤١ ق. م وبعدها احتلوا مملكة مقدونيا وبلاد الإغريق وبذلك اتسعت الإمبراطورية الرومانية وأصبحت قوة عظمى يصعب قهرها وتتحكم في مقدرات العالم القديم الغربي والشرقي، ثم بدأ العد العكسي للإمبراطورية الرومانية عام ٢٣٥ م وعودة النفوذ الفارسي، وفي الحقبة الرومانية نشأت الديانة المسيحية كامتداد للرسالة الموسوية، وظلت المنطقة العربية في ظل هذا الواقع خاضعة لنفوذ القوى الخارجية، وهنا كانت بداية الدولة الأقوى والأكبر.الإمبراطورية

٢- المرحلة الثانية مرحلة تكوين الثورة القومية الثانية. نهاية طور التكوين وبداية طور التأسيس.

أولا: نهاية طور التكوين. إذا تم الحصول علي العناصر المكونة لشيء ما فيمكن استخدامها من أجل تأسيسه وبنائه من تلك العناصر، وهي- **بقعة جغرافية** محددة بمنطقة أرض الرافدين شمال شرقي، ووادي نهر النيل جنوب غربي، وشبه الجزيرة العربية جنوب شرقي، وبلاد الشام شمال غربي- **تاريخ مشترك**: جمع بين تبادل غزوات ممالكه منذ فجر التاريخ وتبادل التجارة بينها وتفاعل حضاراتها- **مصير مشترك**: لما تعرضت له من موجات غزو من خارجها طوال قرون عديدة من الزمن، عانت فيه من القهر والاستعباد وتشاركت هموم الإعداد لمقاومة تلك الموجات، وقد توجت ذلك بالتحرير منها كلها بفعل الثورة الإسلامية التي انطلقت من شبه الجزيرة العربية.

- **تكوين ثقافة مشتركة** علي شتى المستويات: وان كانت هذه الثقافة قد تكونت في ظل الغزوات، إلا أن هذا أمر لا يعيبها فان هذا كان ثقافة العصر التي تعتمد علي العصبية من أجل الدفاع المشترك ضد الغزاة **عامل اللغة**: وهذا العامل شكل الرابط الضروري بين كل عناصر التكوين القومي العربي، وقد جاءت الدعوة الإسلامية لتقوم بالتأسيس علي هذه المكونات لبناء دولة عربية تأخذ مكانها في عصر الإمبراطوريات القادمة من وراء البحار

والحواجز الجغرافية، فكانت الدعوة الإسلامية استئناف سياسي ومعرفي لطور التكوين الأول، فقامت بتوظيف تلك العناصر للتأسيس لمرحلة جديدة وهذه العناصر تنقسم إلي، عناصر جغراسياسية وعناصر معرفية ١- **عناصر التكوين الجغراسياسية**.- الجغرافيا الواحدة التي تصارعت علي ساحتها الممالك الأولى وتمتد من بلاد الرافدين إلي وادي النيل مرورا ببلاد الشام وشبه الجزيرة العربية- التاريخ المشترك ويتمثل في الغزوات المتواصلة والمتبادلة بين الممالك التي تأسست وتصارعت فيما بينها ثم جاء الغزو القادم من خارج المنطقة وكان أولها الغزو الفارسي في أوائل القرن السابع قبل الميلاد، ثم الغزوات التي قام بها الاسكندر المقدوني في الربع الأول من القرن الرابع قبل الميلاد، ثم الرومان في القرن الأول قبل الميلاد- المصير المشترك: والذي عانت فيه شعوب المنطقة من وطأة الغزو الخارجي التي أثقلت كاهل الجميع وبذا يكون العنصر السياسي قد لعب دورا مهما في بنية الثورة الإسلامية التي قادها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والدليل على ذلك أنه ما إن كادت الثورة تنجز توحيد الشعوب والقبائل العربية بمفاهيم زمانها ومكانها ولم يمض على انطلاقتها الأولى عشر سنين حتى توجهت أنظار الرسول إلى كل القوى الحاكمة في ممالك الجوار وأباطرتها فأرسل رسله إليهم ينصحهم ويدعوهم إلي الدخول في الإسلام، فأرسل إلي المقوقس والي كسرى والي النجاشي والي هرقل، وكانت مرحلة الانقلاب ضد الخضوع لإمبراطوريات الفرس والروم من أهم منجزات الثورة الإسلامية، حيث كانت عوامل الرفض قد تكونت نتيجة تراكم مزمن ولدته كل أشكال الاحتلال والاستعباد التي مارستها الإمبراطوريات التي حكمت هذه المنطقة، فاستعبدت أهلها واحتكرت ثرواتها لمصالحها.[١٣]

(تعقيب) نتحفظ على مصطلح انقلاب وثورة المستخدم في وصف رسالة الإسلام لأنها رسالة دينية في المقام الأول وليست ثورة، فلم يكن هدفها مطامع أو استعمار، وإنما كان هدفها الأساسي والوحيد الدعوة إلي عبادة الله تعالي وترك عبادة ما سواه، كما أن النبي صلى الله عليه

[١٣] انظر: دراسة تاريخية ومعرفية في عناصر تكوين القومية العربية للأستاذ/ حسن خليل غريب بتصرف الحوار المتمدن- العدد: ٣٠٢٠- ١٠/٦/٢٠١٠- ١٢: ١٠ المحور: القومية، المسألة القومية. حقوق الأقليات وحق تقرير المصير.

وسلم لم يكن يطمع في مال ولا جاه، فقد جاء ليجمع الناس جميعا علي كلمة سواء وقد عرض عليه أكابر قريش ذلك في أول الدعوة ونحن نعرف هذه القصة المشهورة.إذن لم تكن الدعوة الإسلامية ثورة أو انقلاب.

إذن من نتائج التكوين السياسي، أن بني العرب تحت الراية الإسلامية إمبراطورية عربية مترامية الأطراف لم يكن لغير العرب فضل في تكوينها في فترة زمنية قياسية في عشر سنين، فكانت القاعدة الصلبة التي انطلقت منها لتوحيد المساحة الجغرافية الممتدة من بلاد الرافدين حتى وادي النيل في أقل من خمسين عاما من الزمن، ولم يمض وقت طويل حتى وصل العرب إلي أقاصي الشمال الإفريقي، ومنه امتد إلي أسبانيا وقد استفادت الحضارة العربية من الإمبراطوريات السابقة عليها خاصة في النظام الإداري، فقد جمعت من حولها كل من كانت لديه خبرة في هذا الشأن والتي بلغت ذروتها في الخلافة العباسية والتي عرفت بعصر التدوين والانفتاح الواسع على حضارات الشعوب الأخرى

٢- عناصر التكوين المعرفية

التجديد في بنية الأديان السماوية، وخاصة وأن دعوة التوحيد كانت تتفاعل في ثقافة شريحة من العرب المعروفين بالأحناف، والتي جاءت نتيجة التراكم والتواصل المعرفي في التراث الروحي لشعوب المنطقة، بدءا من مرحلة عبادة الأوثان مرورا بالديانة اليهودية والديانة المسيحية، فهناك تواصل معرفي بين عناصر المعارف الأولية لتكوين الأديان الوثنية وعناصر التكوين المعرفي للأديان السماوية، فقد تعددت الديانات بتعدد الشعوب والممالك الحاكمة في تلك المنطقة، وينتج من ذلك استنتاج أن هناك عاملين أساسيين يدلان على أن تكوين السكة المعرفية كانت واحدة عند شعوب المنطقة وهذان العاملان هما

١- حركة التواصل والاحتكاك المعرفي بفعل الغزوات المتبادلة

٢- حركة التفاعل بين معارف تلك الشعوب التي كانت تنتج بشكل متواصل نتائج معرفية جديدة وحركة المعرفة تنقسم إلي نوعين.

- حقل المعارف العامة المختصة بالعلوم المادية، وقد عرفنا نبوغ كل مملكة في ابتكار واختراع الوسائل الحضارية من علوم فلكية وزراعية وحربية وصناعية وغيرها وكذلك الحضارة العمرانية التي أنتجت أكثر عجائب الدنيا

- حقل المعارف الروحية والمتعارف عليها بالأديان، والتي ابتدأت بعبادة ظواهر الطبيعة وتفسير التكوين البشري الأول وانتهت بالأديان السماوية التي عمت أيديولوجياتها شتى أنحاء الكرة الأرضية.[١٤]

٢- المطلب الثاني: مرحلة الدولة الإسلامية. إن الإسلام حين ظهر في العرب انتقل بهم إلى مرحلة الأمة التي تقوم على رسالة عالمية، فالأمة العربية التي صنعها الإسلام رغم شعورها بالتميز والخيرية إلا أنها لم تكن تستند إلى العرف في تميزها، وإنما استندت إلى ما يمكن أن نطلق عليه: « وظيفتها الإيمانية والحضارية » فالإسلام كان هو الحدث الأهم في تاريخ العرب، وهو الذي انتقل بهم من الفراغ القبلي إلى أن يكونوا أصحاب رسالة عالمية ووظيفة حضارية، " وباعتبارنا ننظر إلى« العروبة » بوصفها عملية حضارية واسعة وكبيرة تفاعل فيها المسلمون مع البلدان المفتوحة عبر آليات عديدة **منها العلاقة الوثيقة بين العربية والإسلام، بل بين العرب والإسلام؛ ومن ثَمَّ كان تعريب الدواوين وإقبال الناس على تعلم العربية.إن التداول الحضاري في الإسلام لم يستند إلى العرق، وإنما استند بشكل أساسي إلى رسالة الإسلام**[١٥] لان الهدف من تعلم اللغة العربية إنما هو فهم الدين وإذا أردنا أن نتحدث عن القومية الإسلامية فإننا نستطيع أن نقول:

أن الإسلام لا يقف في طريق الشخص إذا انتسب لقومه أو لوطنه أو أهله بل إنه يشجع هذا المسلك ويحبذه إذا كان على أساس التواصل وصلة الرحم، بل أخبر الله تعالى أن انقسام الناس إلى شعوب وقبائل هو أمر منه عز وجل وأن الحكمة من وراء هذا بينها عز وجل بقوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات: ١٣].وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينتسب الشخص إلى غير أبيه أو ينتمي إلى غير مواليه ولا يمنع كذلك أن ينتسب الإنسان إلى الوطن الذي يعيش فيه ولا لوم عليه إذا أحبه لا على أساس الفخر الجاهلي وإنما لأنه وطنه الذي أواه، فإن تلك الأمور كلها لا حرج فيها وواقع تعيشه البشرية

[١٤] المرجع السابق

[١٥] القومية وأثرها المدمر على الوحدة الإسلامية إعداد /عبد الصبور عبد النور- بتصرف

كلها ولا يمنعها الإسلام إلا في حالة واحدة وهي الحالة التي يصبح ولاء الناس ومعاداتهم ومحبتهم واجتماعهم وافتراقهم كله قائم على دعوى القومية والتعصب لها وتقديمها على الأخوة الإسلامية، لأن هذا الوضع منحرف لأنه يصبح تشريعا جديدا لا تستند فيه مشروعية إلا على الحكم الوضعي البشري لا إلى حكم الله تعالى، وما أجمل أن يترك الإنسان كل علاقة خارجة عن الإسلام محاكيا في ذلك قول سلمان رضي الله عنه حينما سمع بعض الناس يفتخر بنسبه وبقومه فقال عن نفسه: أبي الإسلام لا أب لي سواه*** إذا افتخروا بقيس أو تميم وأما حينما يصل التعصب للقومية إلى أن يقدم الشخص ولاءه ومحبته للآخر لأنه من قومه بينما يبتعد عن الآخر من غير قومه حتى وإن كان صالحا تقيا، فهذا لا يعترف به الإسلام بل تعترف به القومية الجاهلية، وما أكثر ما ورد عن سير السلف الصالح رضوان الله عليهم من الصحابة من تقديم أخوة الإيمان على أخوة النسب أو الدم، ولنا في مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في أول الإسلام خير شاهد على ذلك فإن قصصهم العطرة وسيرتهم المرضية لا تزال تضيء نورا وهاجا وعبيرا فواحا إلى يومنا هذا تخليدا من الله تعالى لهم وإكراما لأوليائه. إن العرب كانوا في حمئة الجاهلية كسائر الأمم حتى أنقذهم الله بالإسلام ورفع شأنهم به ومن زعم غير هذا فقد جانب الحقيقة وكذب على التاريخ وتشبع بما ليس فيه، ولا قيمة لأمجاده التي يزعمها قبل الإسلام فإن زعمه هذا هو من جنس مزاعم هذا العصر المعكوسة التي تسمي الأشياء بغير اسمها فتستحل الحرام وتحرم الحلال فكان الإسلام يكسر عنصر الامتناع في القبلية أو القومية؛وان تسامح الإسلام مع أرباب الديانات الأخرى كان حافزا على التآلف والتواد في المجتمع وليس تقسيمه إلي مسلمين وغيرهم لان الناس جميعا لأدم وآدم من تراب بحيث لا تتحول إلى عصبية ينتصر المنتسبون إليها لبني جلدتهم بالحق والباطل على السواء، أما الانتصار للعصبية بالحق فأمر ممدوح قد يكون واجباً أو مندوباً، وكانت القبائل تخرج تحت راياتها لتتنافس في تحقيق غايات الإسلام ورسالته، فلم يعرف الإسلام برامج القوميات المعاصرة التي تستهدف صهر الأعراق الأخرى لصالح القومية المتسلطة أو السائدة ومما يدل على ذلك كثير من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والتي منها.

قال تعالى: "وأنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" سورة الأنبياء آية ٩٢ وقال الرسول صلى الله عليه وسلّم: من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية يغضب لعصبة أ ويدعو إلي عصبة أو ينصر عصبة، فقتل فقتلة جاهلية، ومن خرج علي أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ويفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه[١٦] من منطلق الآية الكريمة والحديث الشريف، حثّ الإسلام على ترك الروابط الجاهليّة، وجعل القوميّة والعصبيّة لله ورسوله، لا لشعب معيّن أو لجنس معيّن أو لغة أو لون، وجمع الناس على كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فجعلها هي القوميّة وهي العصبيّة وهي الجنسيّة وهي العقيدة التي من أجلها يحبون ومن أجلها يبغضون ومن أجلها يحاربون ومن أجلها يسالمون وبها يعيشون وعليها يموتون. وبذلك صهر الأمم كلّها في أمة واحدة ومعسكر واحد هو معسكر الإيمان بالله ورسوله في مقابل معسكر الكفر والجاهليّة، وقد استطاعت هذه الأجناس كلها أن تصنع حضارة عظيمة هي الحضارة الإسلاميّة التي لم تكن يوماً عربيّة ولا تركيّة ولا فارسيّة بل كانت دائماً إسلاميّة. وكل ذلك في حدود العدل والمساواة وليس بالقتل والإرهاب حبا لله ولرسوله لان الله تعالي لا يرضي بذلك ولا رسوله

فقد جاء الإسلام منذ اليوم الأول للبشرية بمبادئ جديدة يتجمعون عليها. ويلتقون في ظلها، وجاء لينقل الإنسان نقلة بعيدة فيرتفع به من التراب والطين إلى العقيدة والدين، وجاء ليقر الحق ويبطل الباطل. ويعطي كل ذي حق حقه، وعلم الناس أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله. (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما، فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) ١٣٥ سورة النساء جاء الإسلام ليقيم العدل في الأرض. فقد قال عبد الله بن رواحة لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم: (والله لقد جئتكم من عند أحب

[١٦] رواه مسلم في ك الإمارة، ب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢/ ٢٣٨ /٢٣٩) رقم ١٨٤٨

الخلق إلي، ولأنتم أبغض إلي من أعدادكم من القردة والخنازير وما يحملني حبي إياه، وبغضي لكم، على أن لا أعدل فيكم، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض)[١٧]

واختفت من بين الناس تلك النعرات الجاهلية والأصوات المنكرة التي كانت تؤجج نار حرب البسوس وحرب داحس والغبراء. واختفى صوت الشاعر دريد بن الصمة: (وما أنا الآ من غزية إن غوت* غويت وإن ترشد غزية أرشد)، اختفى هذا الصوت ليرتفع الصوت الجديد بنشيده: (أبي الإسلام لا أب لي سواه،*** إذا افتخروا بقيس أو تميم. واختنقت الأصوات التي تنادي بالانتصار لبكر أو تغلب أو لخزاعة، عندما دوى صوت الوحي في جنبات الأرض. (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوب وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير) ١٣ الحجرات وأصبحت أنشودة كل مسلم: (الهند لنا والصين لنا والعرب لنا والكل لنا، أضحى الإسلام لنا دينا وجميع الكون لنا وطنا، دستور الله لنا نور أعددنا القلب له سكنا**[١٨] هذه هي القومية في الدولة الإسلامية الأولى، إن صح التعبير بالقومية الإسلامية.

أما الحديث عن القومية العربية في العصر الحديث فالكلام عنها كثير وسأتناول هذه النقطة من حيث انتقال تلك الفكرة إلي العرب والمسلمين في العصر الحديث، وهذا يتطلب منا الحديث عن نشأتها في الغرب الأوربي أولا، علي اعتبار أن نشأتها غربية، ثم نبين كيف انتقلت إلي الوطن العربي ووجدت لها أنصارا ومؤيدين.

المطلب الثالث: مرحلة العصر الحديث وعلى الساحة الغربية. قلنا سابقا في نشأة القومية بأنها مصطلح غربي ورد إلينا، وقد ظهر حديثا في البلاد الأوربية وألان فلنلقي الضوء على الأماكن التي ظهر فيها وهل اختلف المقصود بالقومية من مكان إلي أخر ومن عصر إلي أخر أم لا؟ فإذا تتبعنا مسار مفهوم القومية نراه في تغيير مستمر فمثلا القومية قبل القرن ١٧ يختلف عن مفهومها بعد القرن ١٧ حيث نجد هذا المفهوم قبل القرن ١٧ يعني الجماعة السياسية الخاضعة للملك الذي يشخص الدولة وفقا لشرعية الحق الإلهي في الملك بمعنى أن الملك= الدولة وكانت هذه القوميات

---

[١٧] منتدى التوحيد

[١٨] القومية العربية للشيخ عبد الله عزام.صـ٢٠

خاضعة للملك على الأساس الديني لا على أساس انتمائه القومي للشعب، لذلك وجدنا إمبراطوريات كبرى تضم العديد من القوميات كالإمبراطورية الرومانية المسيحية لكن هذا المفهوم سيتغير بعد القرن ١٧ وسيعوض مفهوم الجماعة السياسية بالجماعة القومية التي أصبحت معها الأمة والقومية هي التي تشخص الدولة وتحكم نفسها بنفسها لا أن تحكم من طرف أمة أخرى، وقد تناول مفكرو وفلاسفة أوروبا الفكرة القومية التي كانت أساس ومنطلق الحركات القومية بعد الثورة الفرنسية وكان أول من استخدم هذا المصطلح هو جويسيبي ماتزيني الزعيم والسياسي القومي الإيطالي للمرة الأولى . نحو عام ١٨٣٥ قال ماتزيني: إن القومية هي انتماء جماعة بشرية واحدة لوطن واحد شريطة أن يجمعها تاريخ مشترك ولغة واحدة في أرض هذا الوطن ففي إيطاليا التطور الاصطلاحي مختلف عندما نتتبعه عبر المفردات الإيطالية مع أن كلمة "قومية" أدخِلت في الفترة نفسها تقريباً أي في بدايات القرن العشرين، لكن المعنى السائد ظل المعنى نفسه الذي اكتسبته من قواميس المدرسة القومية الفرنسية في نهاية القرن التاسع عشر، أي المعنى المنبثق من نظام الفكر والعمل السياسي. **أما في فرنسا**، فقد اتخذ هذا التعبير معنى معاكساً، إذ تم ذكر كلمة "قومية" لأول مرة في اللغة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر: في نصٍ للكاهن الأب "بارويل"، بتاريخ ١٧٩٨، حيث تم استعماله للتنديد بلا أخلاقية وطنية اليعقوبيين ثم نعود فنجده عام ١٨٣٦ في مقال فرنسي لـ"مازّيني" Mazzini حيث اتخذ معنى سلبياً لكن بالاتجاه المعاكس إذ انه استخدم للدلالة على مظاهر الامبريالية الملكية المضادة لتطلعات الشعوب المسحوقة. لكن الكلمة لم تظهر لا في الموسوعة الكبيرة لـ"مارسولان بيرتولو" Marcelin Berthelot ولا في قاموس الأكاديمية الفرنسية لعام ١٨٧٨، ولا في الـ"ليترِه" Littré. أما (التعبير" nationalité" أي الجنسية فقد أدخِل إلى قاموس الأكاديمية في إصداره السادس بتاريخ ١٨٣٥) ونعود فنجده في القاموس العالمي الكبير لـ"بيير لاروس" <script> Pierre Larousse ومنذئذٍ حافظت هذه الكلمة في اللغة الفرنسية على هذه المعاني الثلاثة وعلى هذه الإمكانية المثلثة في تعريفها هذا في فرنسا والتي يعتبرها البعض المحرك الأساسي والمظهر الحقيقي للمصطلح * **دور الثورة الفرنسية ومؤتمر فيينا في اندلاع الثورات القومية** في عهد الثورة الفرنسية دخلت النظرية القومية في الأحداث والوقائع وجعلت الثورة منها مذهبا كما حلت واقعيا من خلال إعلان حقوق الإنسان والمواطن من الوجهة القومية انطلاقا من فكرتين أساسيتين. ١ ـ سيادة الأمة على نفسها ٢ ـ حق انفصال الأمم

والقوميات المغلوبة على أمرها والمضطهدة من طرف أمة أخرى فقد جاءت الثورة بشعار لكل أمة الحق في تقرير مصيرها وقد وجدنا هذه الفكرة في قرار للمؤتمر الوطني باسم الأمة الفرنسية يقول إن الأمة الفرنسية تقدم إخاءها ونجدتها لجميع الشعوب التي تريد استرداد حريتها، وما يمكن فهمه من هذا القرار هو نداء من الثورة الفرنسية للشعوب والقوميات للسعي وراء حريتها وقد تجلّت هذه المفاهيم الجديدة في الثورة الفرنسية تجلياً إيديولوجياً وسياسياً بارزاً. فالثورة الفرنسية زعمت أنها تؤسس ((أمة جديدة))، لا علاقة لها بالمرجعية البيولوجية (دم الأسلاف أو الأمة الدينية)؛ بل مرجعيتها الوحيدة هي قرار حر من المواطنين الذين يريدون العيش متضامنين في ظل قوانين يسنّونها هم دون قيد. لذلك ضمت هذه الأمة الجديدة الشعب الذي اشترك في الثورة بفئاته المختلفة الأصول، والمكونة من ناطقين باللغة الفرنسية ومن غير الناطقين بهذه اللغة على قدم المساواة، وكذلك- بالمقابل- لم تشمل هذه الأمة كل من نطق بالفرنسية ويعيش كمواطن في دولة أخرى. فهذه الأمة الجديدة هي ((أمة- مجتمع إيديولوجية الطابع))، ((أمة اختيار حر))، ((أمة مواطنين بإرادتهم)) وليست ((أمة طبيعية)) عنصرية، ليست أمة الأسلاف. لذلك ضمّت الأمة الفرنسية الجديدة فوراً يهودي فرنسا، رغم اختلافهم في الديانة؛ إذ أن الديانة لم تعد تمثل مرجعية معترفاً بها. أكثر من ذلك، ضمت الثورة في ذروتها العبيد السود الذين انتفضوا في هاييتي، وأعلنت أنهم استحقوا أن يكونوا مواطنين متساويين، بفضل انتفاضتهم، لأنهم أحرار بإرادتهم.

إذن ففي فرنسا حدث اندماج تدريجي على مر القرون لشعوب مختلفة الأصول هجرت لغاتها فتفرنست لغوياً وثقافياً. ثم أنشأت الجمهورية نظام التعليم الحديث الذي عجّل التطور، وأكمل المشروع فخلق وحدة ثقافية- لغوية متينة فعلاً. وبذلك تكون الثورة الفرنسية الممثل الأول للنظرية الواعية للقومية **أما في ألمانيا**. أما في اللغة الألمانية فيبدو أن هذا التعبير قد احتفظ لمدة طويلة بمعنى واسع وغير ثابت. فهو تعبير مستورد بشكلٍ واضح، ولم يظهر على الإطلاق قبل بدايات القرن العشرين. وإصدارات القواميس إغفال واضح لهذا التعبير بينما ظهرت كلمة "قومي" في هذه القواميس بإرجاعها تحديداً إلى الحركة القومية الفرنسية التي نشأت قبل بضعة سنوات. فالتعبير "قومية" طُبِّقَ لاحقاً بشكلٍ طبيعي أولا: على المبادئ والعقائد والمنظمات "القومية"لأوروبية في القرن العشرين وبوحي سلطوي أو غير ديمقراطي، ومن هذا المنطلق جنحت القواميس في الفترة الهتليرية إلى خلطها مع الفاشية. كما أنها استخدمت للدلالة على كل التظاهرات

الحماسية والمتعصبة" للوجدان القومي: هكذا كان صدى المفهوم السلبي الذي نُسِبَ إلى هذه الكلمة في القواميس التي عاصرت هذه الفترة.

ففي ألمانيا،، كان تكوين هذه الدولة ناتج مركّب لاستخدام القوة العسكرية لمملكة بروسيا، وانضمام ارسطوقراطيات الإمارات الألمانية لمشروع بسمارك، دون تحقيق ثورة برجوازية. وقد أنتجت هذه الظروف نتائج بالغة الأهمية من حيث مضمون الإيديولوجية السائدة في الدولة الجديدة. فالتحالف الاجتماعي الحاكم الذي فتح سبيلاً لنمو الرأسمالية أقام مشروعيته لا على قيم الديمقراطية، بل أحلّ محلها الاعتماد على القومية، علماً بأن القومية هذه لم تكن وطنية مبنية على اختيار حر (عقد اجتماعي)؛ بل أصبحت قومية تلجأ إلى مرجعية عرقية، ميثولوجيا الأسلاف والدم. فهذه المرجعية هي بدورها دعوة للبحث عن جذور (حقيقية أو وهمية) في الماضي البعيد للقبائل الجرمانية. وتقيم أدبيات علم الاجتماع الألماني دليلاً واضحاً على هذا البحث؛ حيث أنها ابتدعت مصطلحاً خاصاً للإشارة إلى تلك الجماعة الوهمية القديمة المزعومة (والمصطلح الألماني هو هنا Gemeinschaft) والمعتبرة أصل القومية الألمانية الحديثة. فهذه الإيديولوجية لم تطرح نفسها على أنها قطيعة مع الماضي، بل على أنها بعثاً له. ومما ترتّب على هذا الموقف أن هذه الإيديولوجية نظرت إلى التراث الديني الجرماني القديم على أنه عنصر من عناصر تكوين الأمة. فهي إذن إيديولوجيا عرقية ورجعية، نظرة بيولوجية للإنسان، أدت في نهاية المطاف إلى الإجرام النازي، ولم تُستأصل حتى الآن من الوعي العام في ألمانيا. **أما في انجلترا**.. قيل أنه من المحتمل أن يكون التعبير ذا أصول بريطانية، ويعود ظهوره إلى بدايات القرن الثامن عشر: فالصفة "قومي" قد أشير لها منذ عام ١٧١٥، قبل ظهور الاسم الموصوف "قومية" بزمن طويل. إلا أن استخدامها بقي محدوداً لفترة طويلة: فالصفة والاسم الموصوف لم يتواجدا في الطبعة الرابعة من قاموس صموئيل جونسون لعام ١٧٧٣ حيث نجد فيه كلمة "امة" "nation" و" nationally <script> للدلالة على الظرف والحال، أما "قومياً".و في واقع الأمر لم ينتشر هذا التعبير إلا في أواسط القرن التاسع عشر[١] ولم يأخذ مكانه نهائياً في جميع القواميس إلا في نهايته، لكنه بقي مغفلاً في طبعات الموسوعة البريطانية لأعوام ١٩٠٢ و١٩١٠ Encyclopedia Britannica وظلت استعمالاته متعددة ومتنوعة. أما في العصر الحديث والذي نعني به نظرية القومية فقد تم فعلاً اندماج شعبي اسكتلندا وويلز وانجلترهما لدرجة أن هذين الشعبين نسيا لغتيهما الأصليتين وصارا ينطقا بالإنجليزية

فقط. غير أن الثورة الإنجليزية سبقت الفرنسية بقرن ونصف، فحدثت قبل أن تنضج الظروف بالدرجة التي نجدها ناضجة في فرنسا في أواخر القرن الثامن عشر. لذلك لم تكن ((القطيعة)) بالماضي في انجلترا بالقوة نفسها التي نجدها معلنة في الثورة الفرنسية. فالثورة الإنجليزية رست على حل وسط أنقذ الملكية والأرستقراطية، الأمر الذي كرس بدوره ميثولوجيا التواصل التاريخي. وفي هذا الإطار اخترعت الإيديولوجية الإنجليزية ميثولوجيا خاصة لها فزعمت أن ديمقراطيتها وارثة تقاليد قديمة ترجع إلى الوثيقة الكبرى المشهورة للقرن الثاني عشر، على الرغم من أن هذه الوثيقة هي إعلان حريات كبار الإقطاعيين إزاء سلطة الملك، وبالتالي فهي لا تمت بصلة إلى الحريات البرجوازية الجديدة. وكذلك استوعبت الإيديولوجية الإنجليزية الإصلاح البروتستانتي استيعاباً جعل منه عنصراً من عناصر التراث المزعوم الحي إلى الآن. **أما في الولايات المتحدة** إن البلاد ذات التراث الديمقراطي البرجوازي تميل دائماً وتلقائياً إلى تأويل مفهوم القومية تأويلاً مفتوحاً، يرحب بمبدأ اندماج عناصر جديدة وافدة، وخاصة في ظروف انفتاح البلاد على الهجرة انفتاحاً واسعاً. كان ذلك هو وضع الولايات المتحدة وجميع بلدان أمريكا، وبعض البلاد الأخرى مثل استراليا. ولكن كان هذا هو أيضاً وضع فرنسا منذ أواخر القرن التاسع عشر، أي قبل أن تحدث حركة الهجرة على نطاق واسع في أوربا الغربية كلها خلال عقدي الستينات والسبعينات من القرن الماضي. فكان تكيف المجتمعات ذات التقاليد الديمقراطية الأصلية لتحدي الهجرة تكيفاً ايجابياً بشكل عام. فاستقبل الوافدون بترحاب نسبي، ولو بدرجات طبعاً. فهنا أُعتبر منح الجنسية للمهاجرين، على الأقل لجيل أولادهم، أمراً طبيعياً. وهذه هي فعلاً الممارسة السائدة في غالبية البلدان الأوربية، علماً بأن هذا الانفتاح على مبدأ التجنيس قد ساعد بدوره على الاندماج الفعلي في القومية المحلية. أما الولايات المتحدة، فقد اخترعت مفهوماً خاصاً لها وهو مفهوم الإلحاق بالأمة الأمريكية. ويختلف مضمون هذا الأخير عن مفهوم الاندماج الفرنسي- الإنجليزي؛ بمعنى أن الأول يعترف بديمومة التنوع في الذاتيات الثقافية للمجموعات المختلفة الأصول المكوّنة للأمة الأمريكية.أما المفهوم الثاني كان يقتصر على أن حدث اندماج تدريجي على مر القرون لشعوب مختلفة الأصول هجرت لغاتها فتفرنست لغوياً وثقافياً[١٩] هذه هي القومية ونشأتها في الغرب الأوربي وقد كان لها أسبابها التي

[١٩] الخطوط والتعاريف الاصطلاحية في المعاجم والموسوعات الأوروبية بحث ل راوول جيراردة ومانويلا سيميدة صـ٢٥

قامت من أجلها ومن هذه الأسباب. **المبحث الثالث: المطلب الأول: أسباب ظهورها في الغرب الأوربي ظهرت القومية (Nation) باعتبارها مصطلحاً في الغرب في القرنين السابع عشر والثامن عشر، وارتبط ظهورها في الغرب بالقضاء على الإقطاع وظهور الدول الحديثة كألمانيا، وإيطاليا، والمملكة المتحدة، وفرنسا وغيرها، وارتبط ظهورها بظهور الثورة الصناعية وطبقة التجار والصناع في الغرب «البرجوازية» ثم الرأسمالية، كما ارتبطت القومية بالعلمانية؛ حيث أدت التطورات التي عرفتها أوروبا منذ عصر النهضة في القرن السادس عشر إلى الفصل بين الدين والدولة؛ أي أن القومية في ظل التطورات الغربية التي صاحبتها كانت حركة توحيد وتحرر؛ لأنها وحدت الأمم الأوروبية المبعثرة والمتناثرة في دولة مركزية واحدة، فحققت هدف الوحدة، كما كانت حركة تحرير؛ لأنها خلَّصت أوروبا من تسلط الكنيسة الكاثوليكية التي فرضت التخلف على العقل الغربي، وحاولت التحكم في كل الأشياء،** وكان ظهور الدول الحديثة منذ حوالي **٦٠٠ سنة كانت الأمم المختلفة مقسمة حسب الانتماء الديني للمجتمع**

وكان ذلك ينطبق على أوروبا المسيحية فكانت تأتمر بأمر البابا الكاثوليكي في روما وتعمل تحت توجيهاته العامة وتوصياته واستخدمت الكنيسة سلطاتها الدينية وهذا التفويض الذي منحتها إياه الأمم الأوروبية فكانت تميل إلى صالح الملوك الأقوياء (أو الذين يفلحون في زيادة التقرب منها وتقديم الولاء والرشوة لها) فكانت تحابيهم على حساب غيرهم– فأدى ذلك إلى بذر بذور الكراهية بين المقاطعات الأوروبية وانعزالها عن بعضها بالتدريج وتحول ولاءها لملكها بدل الكنيسة وتدريجياً تمايزت الأمم حسب اختلاف لغاتها وأقاليمها وملوكها ونشأ ما يسمى بالوطنيات الأوروبية أو القوميات الأوروبية حيث تستقل كل أمة بلغتها وتفتخر بملكها وانتماءها وتتحارب مع الآخرين لتثبت أنها الأفضل والأقوى وأن الآخرين أدنى منها منزلة– وكانت تتخذ الراية القومية لبناء الجيوش وتحريك الحماس والهمة لاحتلال أراضي الغير ونهبهم وفي هذه الأثناء شاعت فكرة القوميّات والعرقيّات في أوروبا مع أفكار مارتن لوثر وكلفن ومزقتها إرباً بعد أن كانت الرابطة هناك تقوم على أساس الدين، وكانت وراء فكرة القوميّة قُوى يهوديّة تهدف إلى تدمير النظام النصراني الاجتماعي الذي كان يقوم في

أوروبا على عزل اليهود وتمييزهم واضطهادهم ومنعهم من السيطرة على المراكز الأساسيّة الكبرى في المجتمع الأوروبي، وهنا أظهر اليهود فكرة القوميّة التي ترمي إلى إعلاء شأن الوطن والجنس لإخفاء الفرق بين النصراني واليهودي من ناحية الدين، وأصبح لليهودي نفس حقوق النصراني تحت مظلّة القوميّة.

وتحولت القوميات هناك إلى دين وعقيدة حتى أنّ الألمان حينما أحيوا الآريّة وتعصّبوا لها نظروا إلى الدين النصراني وإلى المسيح كأنه أجنبي عنهم فهو من الجنس السامي وقال أحدهم: ينبغي أن يكون إلهنا أيضاً ألمانيّاً.، وبذلك ظهرت الدول الحديث المستقلة.[٢٠]

– ظهور الثورة الصناعية وظهور التجار والصناع في الغرب.

قبل الثورة الصناعية خضعت معظم الدول الأوربية لحكم ملكي فكان لملاك الأرض الكبار والتجار الأغنياء وبعض رجال الكنيسة في هذه الدول نفوذ سياسي كبير، أما العمال والمزارعين فقد خفتت أصواتهم في الحكومة فلم يكن هناك من يدافع عنهم أو عن حقوقهم ولكن بعد الثورة الصناعية والتي بدأت في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر تغيرت كل تلك الأوضاع، حيث انتشر التعليم وظهرت الآلات ونشأت النقابات العمالية التي تطالب بحقوق العمال وزاد عدد السكان وانتشرت الصناعة في اغلب دول أوربا وأصبح لكل دولة إنتاجها وصناعتها وتجارتها المستقلة وأصبح التنافس قويا بين تلك الدول مما غير حياة وتاريخ تلك الدول. وبتلك الثورة الهائلة تم القضاء علي الإقطاع واحتكار السلع ورءوس الأموال والتجارة.

هذا في أوربا وكان لها أسبابها الداعية إليها فما الذي انتقل بها إلي الدول العربية

المطلب الثاني: انتقال القومية إلي الدول العربية في العصر الحديث وأسباب ذلك.

تعددت الآراء حول كيفية انتقال القومية ومتى كان ذلك إلي أراء عدة، فإذا أردنا أن نبين الأسباب فسوف نفرق بين حقبتين زمنيتين، وذلك لاختلاف الأسباب في كل حقبة.ففي أوائل القرن العشرين يرجع سبب الدعوة إلي القومية إلي سببين رئيسيين

[٢٠] منتدي صيد الفؤاد

السبب الأول: مجاراة القومية الطورانية ورد فعل لسياسة التتريك التي تبناها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي.

هذه القومية التي دعا إليها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الذين ثاروا علي السلطان عبد الحميد(رحمه الله) واستطاعوا ازاحته عن الحكم ١٩٠٩ م وذلك بعد مؤامرة خسيسة من مجموعة من اليهود الذين حاولوا مساومة السلطان عبد الحميد لانتزاع بيت المقدس وفلسطين لإقامة وطنهم الذي خططوا له في بروتوكولاتهم والتي كان من أهدافهم أيضا القضاء على الإسلام والخلافة الإسلامية وقد تم لهم ما أرادوا ومما يدل على وجود أيدي يهودية في هذا الموضوع فقد كتب ستون وتسون يقول: (إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضو واحد من أصل تركي صاف، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد، وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة دونمة، وكراسو من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيك، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإسلام دينا، أما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه شركسيا ونصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كومت الفلسفية) . ويضيف ستون وتسون قائلا: (إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مسلمين من أصل يهودي وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيك الاثرياء.... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية- أو الشبيهة بالدولية- من فينا وبودبست وبرلين وربما من باريس، فقد كانت الخلافة الإسلامية تطوق معظم بلاد الإسلام، فلما فشلوا في انتزاع فلسطين من السلطان عبد الحميد سلكوا مسلكا آخر، فقد أشاع مجموعة من اليهود أن السلطان عبد الحميد قد اتفق مع العرب على مؤامرة يراد منها الكيد للشعب التركي والقضاء على العنصرية التركية، وأن الدعوة إلى الجامعة العربية ما هي إلا غطاء ديني يراد منه ستر تلك المؤامرة، وأوحوا إلي أحد الكتاب ومجموعة من أتباعه بفكرة إيقاظ القومية التركية الطورانية والتي تعني (الرجوع إلي خصائص الأسلاف الطورانيين من سكان التركستان في أواسط أسيا قبل دخول الترك في الإسلام وقد رفعوا شعار الذئب الأغبر وهو معبود الأتراك في جاهليتهم، وفرض اللغة التركية وحدها على شعوب الدولة العثمانية، وقد كانت هذه السياسة بمثابة مبرر لجميع الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية لكي تدعو إلي قوميتها والمطالبة بالانفصال عن دولة الخلافة، وهنا بدأ العرب يدعون إلي قوميتهم مجاراة للقومية الطورانية ورد فعل على سياسة التتريك التي حاولها أعضاء

جمعية الاتحاد والترقي، يقول الأستاذ الدكتور عمر فروخ (رحمه الله) "فلما انكشفت هذه الحركة المتطرفة لشعوب الإمبراطورية العثمانية انفلت العرب خاصة إلي حركة عربية متطرفة في الدعوة إلي القومية العربية الجاهلية من أجل ذلك نشأت جمعيات عربية كانت في الواقع رد فعل لجمعية تركية الفتاة ومن هذه الجمعيات التي كان بعضها متطرف كما كان بعضها معتدل جمعية الإخاء العربي، المنتدى الأدبي، الجمعية الإصلاحية.[٢١]

السبب الثاني: تقليد الأوربيين في شعارات عصر نهضتهم واستعارة نظمهم وأفكارهم. **في إطار موجة التأثر في العالم الإسلامي بالأفكار الغربية ظهرت الفكرة القومية في أوائل القرن العشرين مطلباً أساسياً روجت له النخبة العلمانية في العالم الإسلامي، وكان نفوذ هذه النخبة يتعاظم مع تعاظم التفوق الغربي في المجال المادي وتراجع دولة الخلافة الإسلامية الدولة العثمانية؛ إذ إن الفكرة المهيمنة على عقول النخبة المتغربة في هذا الوقت: إنه لكي نحقق الإصلاح والتقدم في العالم الإسلامي لا بد من انتهاج خط الغرب، ونسي هؤلاء أن ما يصلح في مجتمع ويُنتج خيراً قد ينتج خبيثاً في مجتمع آخر؛ لأنه لا يوجد مجتمع واحد وإنما مجتمعات، ومن ثم فلكل مجتمع خط إصلاح مختلف، وكما يقول «زين نور الدين زين» في كتابه الهام: (نشوء القومية العربية) "في الغرب كانت القومية السياسية جزءاً من حركة علمنة الحضارة المسيحية، وأسفرت المعركة بين القومية والمسيحية عن انتصار القومية، أما في الشرق العربي فالإسلام لا يزال عميق الجذور؛ فلم تستطع الأفكار القومية أن تحدث ثغرة فيه؛ بل استطاع الإسلام أن يقف في وجه كل محاولة للعلمنة، والمسيحيون القلائل وإلى جانبهم قلة قليلة من المسلمين ممن كانوا يحلمون بإنشاء دولة عربية علمانية تقوم على حدود جغرافية وطنية معينة لا على أساس ديني لم يلقَوْا تشجيعاً ولا تعضيداً من قِبَل غالبية سكان البلدان الإسلامية[٢٢] نعم الإسلام عميق الجذور ولكن الدعوة إلى اتحاد العرب دعوة طيبة ولابد من دعمها خاصة في هذا الوقت لأننا في أشد الحاجة إليها ولذلك**

---

[٢١] انظر تحديد التاريخ للدكتور/ عمر فروخ. صـ٢٨٤، وانظر القومية العربية للشيخ/عبد الله عزام، صـ١١ والقومية في ميزان الإسلام للدكتور/عبد الله ناصح علوان صـ١٤: ١٨، واقعنا المعاصر للأستاذ محمد قطب ص/٣٦٢ وما بعدها

[٢٢] القومية وأثرها المدمر على وحدة الأمة الإسلامية للاستاذ كمال حبيب صـ٥ وما بعدها

وُجد من يروج فكرة تعارض القومية مع الدين والتي لا دليل عليها، ليفتت ويقلل من عزيمة وقوة العرب ليسهل السيطرة عليهم ولكن ظهرت الدعوة إلي القومية وبدأت تعبيراً رومانسياً في أواخر القرن التاسع عشر عبر عنه أدباء ومفكرون مسيحيون من لبنان مثل بطرس البستاني وأحمد فارس الشدياق وإبراهيم اليازجي وأديب إسحاق وشبلي شميل وغيرهم، وكانوا جميعاً مرتبطين بالإرساليات النصرانية الغربية، وهؤلاء عملوا على إبراز تاريخ العرب قبل الإسلام وإثارة الشعور القومي العربي، وهؤلاء هم الذين فَصَلوا في العصر الحديث بين العروبة والإسلام فتابعوا فعل الشعوبية في العصر العباسي الأول، ويعترف صليب كوراني بذلك فيقول: الأثر الأول للحضارة الغربية في الحياة العربية بعث القومية العربية، وقيام الحركة الاستقلالية التي تشمل العالم العربي في الوقت الحاضر، وكانت هذه الحركة نتيجة مباشرة للتعليم الغربي ثم بدأت الحركة القومية العربية في طور العمل السياسي ممثلة في جمعية (بيروت السرية) التي كان طلبتها من خريجي الكلية البروتستانتية، وكانوا كلهم نصارى، ثم بدأ المسلمون ينضمون إليها.وبدأت الجمعيات السرية والعلنية القومية المطالبة بإصلاح الوضع في الدولة التركية مطالبة بحق العرب في الحصول على حقوق سياسية وثقافية في إطار الدولة التركية؛ وكان التطرف القومي التركي الذي مثلته جمعية الاتحاد والترقي الحاكمة هو الذي أدى إلى ظهور تيار قومي عربي؛ لكنه لم يكن مطالباً بتفكيك الدولة وكما يقول زين نور الدين زين: إن فكرة الانفصال العربي عن الدولة العثمانية لم تظهر إلا في إطار التطرف القومي للاتحاد والترقي بعد عام ١٩٠٩م، وإبَّان الحرب العالمية الأولى، ومع انضمام تركيا إلى ألمانيا بدأت بريطانيا توظف رغبة العرب في الانفصال عن تركيا بقطع عهود على نفسها بإقامة خلافة عربية على رأسها الشريف حسين إذا هم ساعدوا الحلفاء في الحرب، وبعد مساعدة العرب المخلصة للحلفاء وحربهم تركيا وكانوا سبب هزيمتها خدعتهم بريطانيا، وقُسِّمت الدول العربية في الاتفاق المعروف باسم: (سايكس بيكو)[٢٣] ويعتبر الغرب هذا الموقف نقطة تحول إلى مرحلة جديدة في التفكير القومي. كتبت الايكونومست في حزيران سنة ١٩٦٢ تحت عنوان (الإسلام ضد القومية) ما يلي: (لقد وضع

[٢٣] القومية وأثرها المدمّر على وحدة الأمة الإسلامية: للاستاذ كمال حبيب صـ٥ وما بعدها

العرب منذ الحرب العالمية الأولى القومية في المكان الأول حين قاتلوا بجانب الانجليز الكفار- من أجل التحرر من المسلمين الأتراك. وباستثناء البقية الهزيلة من الإخوان المسلمين فليس هناك في العالم العربي اليوم أناس ذوو تفكير سياسي يضعون مجتمع الدول الإسلامية فوق قوميتهم العربية) ولكن بعد الحرب الأولى وإن كانت التجربة القومية مريرة إلا أنه برز عامل جديد وهو: جثوم الاستعمار بثقله على كاهل العالم العربي وأصبح هذا العامل وترا جديدا يعزف عليه دعاة القومية ومفكروها، خاصة بعد ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقيام ثورة سنة ١٩٣٦ الفلسطينية. فهناك نقاط بارزة مابين الحربين الأولى والثانية أدت إلى ازدياد التفكير القومي أهمها: ١- الاستعمار البريطاني والفرنسي وقد نقل معه:

أ- العلمانية (اللادينية) إلى أجهزة الدولة ورفع الطبقة الممزقة اجتماعيا، المتفلتة أخلاقيا، المستعدة للنفاق وإيقاد البخور وإشعال الشموع للحاكم الجديد. وأصبحت هذه الطبقة هي المستعمر الجديد وإن كانت من أبناء المنطقة.

ب- المناداة بالأفكار القومية كبديل للإسلام وكأساس للتفكير والتجمع والتنفير من الاتجاه الديني واخذ العبرة من التاريخ الأسود المرير لرجال الدين في العصور الوسطى في أوربا.

ت- أصبح نغم التحرر من الاستعمار مادة دسمة للطبقات الناقمة على الإسلام والتي تريد أن تجعل من بعض فترات الحكم التركي صورة للإسلام، الذي يمثل الجمود والتأخر والانحطاط!؟ ؟ ٢- إسقاط الخلافة على يد مصطفى كمال اتاتورك وما تبع ذلك من تفكير جدي بإنشاء تنظيم حركي إسلامي لإعادة الخلافة وقيام حركة (الإخوان المسلمين) على يد حسن البنا. ٣- بروز التفكير القومي على شكل تنظيمات يقودها النصارى وبرز حزب البعث، والقوميون العرب، والقوميون السوريون على السطح، وكانت الجامعة الأمريكية محضنا دافئا لكثير من هذه الأفكار.[٢٤]

في كل الفترات التي ظهرت فيها القومية قبل الحرب العالمية الأولى كان للنصارى وللأيدي الغربية ولسفارات الدول الأجنبية المعادية للدولة العثمانية دور في تحريك الحركات القومية بقصد تفتيت الدولة العثمانية، ويلاحظ أن القومية في المشرق كانت ترفع راية العروبة

[٢٤] القومية العربية صـ٢٠ وما بعدها للشيخ/ عبد الله عزام

حتى تقضي على الدولة العثمانية لصالح الإنجليز؛ حيث كانت الدول المشرقية لا تزال ضمن الدولة العثمانية؛ أما في مصر فإن الإنجليز شجَّعوا الدعوات الطائفية كالفرعونية والمصرية، ولم يسمحوا للعروبة بالظهور؛ لأنها ستكون ضد المصالح البريطانية[٢٥] هذه الإشعارات قد يكون فيها شئ من الصحة ولكنها ليست كلها صحيحة، لأنها تمت بصلة كبيرة لصالح الاستعمار في تلك الفترة ة وتخدم مصالحه للاستيلاء على العالم العربي وثرواته ومقدراته التي جاء من أجلها، وللتنفير من الاتحاد بين العرب وللتنفير من القومية والادعاء بأنها ضد الدين. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى ارجع البعض النشأة إلي الحملة الفرنسية على مصر فقال: "وأول ما غزت هذه الفكرة القومية العالم الإسلامي في العصر الحديث كان في عهد نابليون، حيث عانت جنوده من حرب ترفع شعار "الله اكبر والعزة للمسلمين"[٢٦] تعتبر حملة نابليون النقطة الأولى في بداية تحويل العرب من الإسلام إلى القومية، وقد اختمرت هذه الفكرة في ذهن نابليون على أثر المقاومة التي حركها الأزهر بنداء (الله اكبر) واقتنع الغرب بهذه الفكرة. وخرج الفرنسيون سنة ١٨٠٤ من مصر، وجاء محمد علي باشا وكان محمد علي معجبا بالفرنسيين منذ صغره وكان على صلة بفرنسي اسمه ليون. ثم استقدم إلى مصر د. (كلوت) الطبيب الفرنسي ليكون مستشاره فأشار عليه بفكرة القومية (وقد عني كلوت بأن يطبع الطلاب في المدارس العليا التي كان يديرها على الشعور الصحيح بالقومية العربية) . وبدأ محمد علي يرسل البعثات إلى فرنسا فرجعت البعثات تحمل بذور الفكرة القومية ومن بين هؤلاء رفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس ١٨٢٦- ١٨٣١ فحمل فكرة الثورة الفرنسية عن القومية، ثم تطورت فكرة القومية علي يد نصارى الشام وانتقلت إلي القاهرة وظلت الفكرة تنمو حتى كان مؤتمر باريس ١٩١٣ م والذي يكاد كثير من كتاب القومية العربية يعتبرونه أساسا للقومية الحديثة، وكان عدد المشتركين ٢٤ عضوا نصفهم من المسيحيين ونصفهم من أبناء المسلمين، فيقول عنه أنيس الصايغ: بأنه كان خاليا من المطالبة بالاستقلال حتى لا تحرج بعض الدول الأوروبية التي كانت تشجع الحركة القومية وتمدها

[٢٥] الغزو الفكري التحدي والمواجهة صـ٢٢٥ إسماعيل على محمد

[٢٦] القومية العربية للدكتور عبد الله عزام صـ٧، وانظر واقعنا المعاصر للاستاذ /محمد قطب صـ١٨٢ وما بعدها طبعة دار الشروق، الطبعة الاولى

بالأموال. وقد صرح الزهراوي رئيس المؤتمر لمراسل الطان الفرنسية: بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانية- أي الشمال الإفريقي- لأن فرنسا تشرف على المؤتمر وهي تحكم الشمال الإفريقي وشكر وزارة الخارجية الفرنسية ورفض المؤتمرون إشراك مصر في المؤتمر وقد طالبوا بجعل اللغة العربية رسمية في البلاد العربية. واضطرت الحكومة الاتحادية أن تفاوضهم وترضيهم بإدخال ٣ وزراء عرب وخمسة من الولاة عرب كذلك في سلك الدولة.[٢٧] **وفي عام ١٩٤٨م ومع ظهور التحدي الصهيوني في فلسطين هُزمت الجيوش العربية مجتمعة، وبدأ الوعي بأهمية وجود عالم عربي موحد، لما هو مقرر دولياً من حق كل شعب في أن يكون له دولته السياسية التي تعبر عنه، ومع بزوغ دولة ما بعد الاستعمار طرح الفكر القومي مشروع الوحدة العربية استناداً إلى وجود اللغة والتاريخ والمصير المشترك، لكن الوحدة (المصرية السورية) عام ١٩٥٨م انحلت عام ١٩٦١م، ونشبت الخلافات بقوة بين حزب البعث العربي السوري وحزب البعث العربي العراقي، وعقدت اتفاقيات للعمل العربي المشترك مثل معاهدة الدفاع العربي المشترك، والتعاون الاقتصادي عام ١٩٥٠م، والوحدة الاقتصادية عام ١٩٥٧م، والاتفاقيات المنشئة للعديد من المنظمات العربية المتخصصة، والاتفاقيات المنشئة للتجمعات الإقليمية الجزئية كمجلس التعاون العربي، والإنماء المغاربي... إلخ. ولم تستطع القومية العربية أن ترقى إلى مستوى التحديات المنوطة بأمتها فأخفقت في تحقيق الوحدة العربية، كما أخفقت في تحقيق أي مستوى من مستويات التعاون الاقتصادي فلم تحقق التنمية، كما لم تستطع أن تنجز مهمة التحرير والتحدي للهيمنة الغربية وربيبتها الكيان الصهيوني، ولم تفلح كل محاولات الوحدة حتى الجزئية، لكن النهاية الكارثية القومية كانت مع هزيمة يونيو ١٩٦٧م؛ حيث كانت الهزيمة مفاجأة للقوميين العرب، كما كانت خاتمة أفول القومية العربية، وبدأ الحديث عن وجود خلل في البنية الذاتية للمشروع القومي العربي، وبدأت النزعة ا لقُطرية في التصاعد إلى حد أن الصراعات (العربية العربية) جعلت بعض الدول العربية تستجدي أمنها من دول غربية،** وبعد هذا العرض نستطيع أن نستخلص **أسباب ظهورها في الدول العربية في الوقت**

[٢٧] انظر القومية العربية للدكتور عبد الله عزام ص/٢٧

الحاضر. إلي جانب أثر تلك الاسباب نري أن هناك اسباب أخرى وراء الدعوة الي القومية في الوقت الحاضر **وهي علي وجه الإجمال**:

إن الدعوة إلي القومية العربية في العصر الماضي كانت دعوة الي التحرر من الاستعمار والمطالبة بالاستقلال، لان الاستعمار كان جاثماً على بلادنا وصدورنا ولم يرد وحدتنا وحتى الآن ما زال هدفه ذلك، أما في الوقت الحاضر فان القومية تقوم على أُسس ومكونات أخرى تتمثل في الديمقراطية وحقوق الانسان والمجتمع المدني إلي جانب العناصر الأخرى المكونة للقومية، وهذه المكونات نحن العرب في أشد الحاجة اليها، فالديمقراطية كنظام حكم سياسي قائم علي الاختيار الحر لا يختلف عن الشورى في الاسلام، ولكننا بسبب انشغالنا بالماديات وانبهارنا بكل ما هو أوربي أصبحنا ننادي بالديمقراطية حسب مصطلحات العصر، مع أنها من صميم ديننا الحنيف، كما أن قضية حقوق الانسان اذا فتشنا عنها في أديياننا السماوية جميعا فلن نجد منظمات أو مؤسسات كفلت حقوقا للإنسان مثلها، لأنها لم تترك فردا من أفراد المجتمع إلا وكفلت له حقوقه، ولنقارن بينها وبين الحقوق التي وضعها الاعلان العالمي لحقوق الانسان فسنجد أن هناك حقوقا منسية في هذا الاعلان منها علي سبيل المثال لا الحصر، لم يعترف هذا الاعلان بحق الابوة والأمومة، كذلك لم يعترف بحق الانسان رجلا كان أو امرأة في أن يُنسب ولده اليه وألا يُنسب الي غيره، ولم ينص علي حقوق الانسان بعد وفاته من حُرمة بدنه وحق الجنازة الانسانية وغير ذلك، أما قضية المجتمع المدني فالدين الاسلامي دين ودولة لم يطغى فيه جانب علي أخر، فقد أرسي النبي الكريم قواعد الدولة الرشيدة وترك أمور الدنيا يديرها الناس بعلومهم فقال:(أنتم أعلم بشئون دنياكم) وكذلك محاولة الغرب استبعاد الإسلام كرابطة وحيدة قوية تجمع المسلمين وإحلال رابطة جديدة مكانه.وهي رابطة القوميات ومحاولة إحياءها والتفاخر بها، مما يشتت وحدة العرب وكذلك إثارة بعض الادعاءات مثل أن القومية تعارض الدين، في حين أن كل منهما تدعو إلي الوحدة والتآلف ومن الادعاءات أيضا لتفتيت الوطن الواحد دعوى اضطهاد الأقليات وإثارة الحقد والضغينة والفرقة، في حين لم نجد شيئا من القوانين احترم أصحاب الديانات الأخرى مثل الإسلام ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة في تعايش المسلمين مع غيرهم في المدينة من اليهود كاملة حقوقهم لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

هذه هي القومية الحديثة في الدول العربية بحقبتيها وبأثرها السلبي والايجابي، فماذا جنينا من ورائها، وما الذي استفدنا منها، هي صورة واضحة لكل ذي لب من صور التغريب والقطيعة بالدين، وهذا هو هدفها وهو مخطط يهودي محض، وهذا جانب سلبي ودائما ما ندرك الحقيقة بعد فوات الأوان وقد جاء ذلك بوضوح في تقرير القس زويمر عام ١٩٢٧ "إن هدم الإسلام في نفوس المسلمين له أهمية كبرى في شئ واحد هو مثول الفكر الغربي كصديق دولي، وان أول ما يجب عمله للقضاء علي الإسلام هو إيجاد القوميات"[٢٨] وقد رأينا أيضا من خلال استعراضنا لأسباب ظهور القومية في الغرب والدول العربية أن هناك أسباب مشتركة منها إقصاء الدين سواء المسيحي أو الإسلامي وكذلك وجود الأيدي المحركة وهي الأيدي اليهودية، وما يحدث ألان من صور تشويه الدين في وسائل الإعلام وغيرها ما هو إلا تحقيق لبروتوكولاتهم، لكن إلي جانب ذلك نري أن في ذلك دعوة إلي التوحد والتجمع لصد الهجمات، والوقوف في وجه التغريب والفرقة ولو تحت أي مسمى، إن الغرب لا يريد وحدتنا ويحاربها بكل الطرق والوسائل المباحة وغير المباحة، فلنعتصم بديننا ووحدتنا ولنكن يدا واحدة علي من يبغي علينا، ولنتبع قول الله تعالي (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا)

المطلب الثالث: هناك دعوى أن الإسلام والقومية يتعارضان وهناك من يرى أن القومية والإسلام لا يتعارضان فما أسباب كل وجهة؟ الرأي الأول: القائل بالمعارضة ينظر الرأي المعارض للقومية إليها من منظور ضيق وهو المنظور الديني فقط، فلا ينظر إليها إلا أنها إبعاد وإقصاء للدين مثل العلمانية، وهذا وان كان فيه شئ من الصحة إلا أنهم أعطوا الشئ أكثر من حقه، وفرضوا ادعاءات للتنفير منها واليكم بعضها:

إنه يمكننا القول: إن الدعوة للقومية العربية أو غيرها من القوميات باطل، ويكاد يكون معلوماً من دين الإسلام بالضرورة، لأنها منكر ظاهر، وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله، وذلك من وجوه أربعة:

أولاً: أنها تفرّق بين المسلمين وتفضل المسلم العجمي عن المسلم العربي، بل تفرّق بين العرب أنفسهم وتقسمهم أحزاباً، فهي بذلك تخالف مقاصد الإسلام التي تدعو إلى الاجتماع

[٢٨] انظر الغزو الفكري التحدي والمواجهة د/إسماعيل علي محمد صـ/٢٢٧

والوئام. قال تعالى: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا}، سورة آل عمران (١٠٣ وقال: {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم}. سورة الحجرات (١٣).

ثانياً: لأنها من أمر الجاهلية وتدعو إلى الجاهلية فهي تدعو إلى غير الإسلام، وكل ما خرج عن دعوة الإسلام والقرآن من نسب وبلد وجنس ومذهب أو طريقة فهو عودة للجاهلية. والرسول صلى الله عليه وسلم حين كادت أن تنشب حرب بين الأوس والخزرج غضب، وقال: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم) وهو القائل: (ليس منا من دعا إلى عصبية)، و(ليس منا من قاتل على عصبية)، و(ليس منا من غضب على عصبية).ولا ريب أن كل ما يفعله دعاة القومية من أجل العصبية وهذا يخالف الإسلام والدين فهي تدعو إلى الجاهلية في كل شيء، وهذا كله يخالف الإسلام الذي يدعو إلى التقوى والتواضع والتحاب في الله.

ثالثاً: القومية تؤدي إلى موالاة الكفار العرب وملاحدتهم من أبناء غير المسلمين واتخاذهم بطانة والاستنصار بهم على غير القوميين من المسلمين وغيرهم، والقرآن يقول: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم}. المائدة(٥١) والقوميون يدعون إلى التكتل حول القومية العربية فيوالون لأجل ذلك كل عربي من يهود ونصارى ومجوس ووثنيين وملاحدة وغيرهم تحت لواء القومية العربية، ويقولون؛ إن نظامها لا يفرق بين عربي وعربي، وإن تفرقت أديانهم. والله تعالى يقول: {لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم}، سورة المجادلة (٢٢ وقال: {أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون}. سورة القلم، آية ٣٤، ٣٥ بل إن دعاة القومية يقولون؛ أقصوا الدين عن القومية، وافصلوا الدين عن الدولة، والتفوا حول قوميتكم، حتى تدركوا مصالحكم وتستردوا أمجادكم وكأن الإسلام وقف في طريقهم وحال بينهم وبين أمجادهم، وهذا هو الجهل والتلبيس وعكس القضية.

رابعاً: لأن الدعوة للقومية تفضي بالمجتمع إلى رفض حكم القرآن الكريم لأن القوميين غير المسلمين لن يرضوا بتحكيم الشرع فيوجب هذا على زعماء القومية أن يتخذوا أحكاماً وضعية تخالف القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام. وهذا هو الحاصل الآن فكل البلاد الإسلامية أستبدل الحكام فيها أحكام البشر بأحكام الشرع. وعلى ظهر القومية تسلق من تسلق

من غير المسلمين وتسلطوا على رقابهم فذبح من ذبح وقتل من قتل ومازال الأمر إلى اليوم على هذا النحو. وسيستمر إلى أن يُخلع هذا الرداء المهتريء العفن ونقبره تحت أقدامنا كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرناً من الزمان. وأخيرا فإنا نقول: إن واقع العرب يدل دلالة واضحة على النتائج التي توصلت إليها الدعوات القومية والإقليمية والعلمانية:

١- قطع صلة العرب بالدول الإسلامية.

٢- تمزيق العالم العربي إلى دويلات هزيلة حتى تبقى في قبضة العالم الغربي والشرقي، تتسابق في ولائها لأمريكا أو إلى روسيا لتحمي أنظمتها في المنطقة.

٣- تضخم الكيان الإسرائيلي الذي أصبح تنينا يفتح شدقيه يبتلع كل فترة جزءا من بلاد العرب

٤- انهيارات في معظم النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

٥- نشوء أجيال ليس لها هوية معينة، وليس لها أي مبدأ في الحياة، لا تعلم لماذا تعيش؟ ممزقة خلقيا متفسخة اجتماعيا، متفككة أسريا، أفقدتهم هواء، تراهم كل يوم في رأي، يغيرون أفكارهم كما يغيرون أزياءهم في الاعتقاد والاقتصاد والثقافة والاجتماع يقول زويمر- زعيم المنصرين- مخاطبا المبشرين (إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها، وأخرجتم المسلم من الإسلام فجاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الاستعمار لا يهتم للعظائم ويحب الراحة والكسل ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات).

إن هذا الشرق لم يشهد في يوم من الأيام وحدة ولا عزة ولم يكن له كيان إلا بالإسلام الذي وحده أول مرة ولن يجد نفسه مرة ثانية إلا بالإسلام. لقد مزقت القومية أوربا فنقلها العرب ليمزقوا أمتهم الإسلامية، بل ليفتتوا الشعوب العربية نفسها. كما يقول توينبي: (فهل من الضروري حقا أن يتفتت العالم العربي كما تفتت الإمبراطورية الاسبانية في أمريكا لسوء الحظ- إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة غربية النمط، هذا هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية ومن المؤسف أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليدا تاما. إن سحر القومية جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإسلامية المبعثرة ولكن القومية لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة، بل إلى حكم بالموت والفناء. يقول جب: (إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين

قبضتها الثابتة على السلطة في الدولة... كان القومية... فالقومية هي فكرة غربية تماما) وإن سبب انتشار القومية في العالم العربي هو سيطرة الغرب نفسه على العالم الإسلامي. (ففي الوقت الحاضر الذي يجد الغرب نفسه منذ الحرب العالمية الثانية ويرى أنه مجزأ إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كله كاملة على من فيه بسبب انقسامه هكذا على نفسه. ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم ما يبقى جرثومة القومية الغربية قادرة على السريان والعدوى. ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامي على كل حال إيقاف انتشار هذا الداء السياسي الغربي- القومية- عن طريق الشعور الإسلامي القومي بالوحدة). إن القومية ليست الدواء الناجع لأمراضنا، بل هي داء عضال مما أصابنا، يقول سمث: (وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا على وجه من الوجوه، لن تثمر الجهود البتة) وما أجمل كلمة سيد نا عمر بن الخطاب ننهي بها هذا البحث: (نحن قوم أعزنا الله بهذا الدين ومهما ابتغينا العزة- عن غير طريقه- أذلنا الله). (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون) الأنبياء، ١٠ فالمسلمون يذكرون بالقرآن، فبسبب من هذا الكتاب تذكر هذه الأمة ولقد تقدم العرب أول مرة إلى البشرية على هدي هذا القرآن، وأمسكوا بزمام البشرية بعد أن تمسكوا بالكتاب وأقاموه في حياتهم (وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون)، الزخرف، ٤٤ (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم)، المائدة ٦٨ فأهل القرآن ليسوا على شيء، لا وزن لهم ولا قيمة إلا إذا أقاموه فيهم، وعملوا به في حياتهم، وطبقوه في واقعهم.(ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما ولهدينا هم صراطا مستقيما) . النساء، ٦٦ ٦٧ جاء في تقرير ديلسبس- قنصل فرنسا العام في سوريا في ١٩٥٦/٨/١٩ الذي كتبه بمساعدة مساعده (بلانس) ما يلي (من أبرز الحقائق التي يلحظها من يريد درس هذه البلدان المكانة التي تحيلها الدين في نفوس الناس، والسلطة التي له في حياة الناس، فالدين يظهر في كل مكان وفي كل أمر. ففي المجتمع الشرقي يظهر أثر الدين في الأخلاق العامة، وفي اللغة وفي الأدب، وفي جميع المؤسسات الاجتماعية. والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولد فيه- الشرقي ليس له وطن- بل إلى الدين الذين ولد فيه، وكما أن الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن، فإنه في الشرق ينتمي إلى دين، وأمة الرجل الشرقي هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين ذاته الذي يعتنقه هو، وكل فرد خارج عن

الدين هو بالنسبة إليه رجل أجنبي غريب[٢٩] كيف تحكم على البعث الذي كتب في جريدته عن مشيل عفلق" الإله العائد"، وقال شاعرهم: يا سيدي ومعبودي حسبي ألم فتاتكم حسبي وكيف تحكم على البعث السوريين الذين يقولون: (إن الطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي: هي خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال والاستعمار وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمى محنطة في متاحف التاريخ)، وقد أشرت قبل إلى بعض النصوص التي تعتبر العروبة دينا لها نبوتها والإيمان بالعروبة يجب أن يكون كالإيمان بالوحدانية لله. إن القوميين يصرحون على لسان قادتهم (ألحدنا بكل الطقوس والعلاقات والأديان، اتهمنا بالإلحاد وكان ذلك صحيحا- رغم كل ما زعم البعثيون فيما يعد من مزاعم التبرير- لقد كنا خوارج على كل الشرائع التي تعارف عليها الناس فنسفناها) . **ومما يؤيد المعارضة أيضا أن الإسلام ودعوى القومية لا يتفقان لأن مصدر الدين الإسلامي هو الله عز وجل ومصدر القوميات هي الجاهليات عقول البشر القاصرة، وكذلك إعراض القومية عنه وعدم تحكيمه والرجوع إليه والاستغناء عنه بشعار تلك الجاهليات أمر لا يقره الإسلام ولا يسايره بحال.كما أن تقديم الأخوة القومية على الأخوة في الدين هو كذلك أمر يرفضه الإسلام وكذا الموالاة يجب أن تكون بين المسلمين لا أن تكون على أساس قومي (وَالْمُؤْمِنُون وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ) التوبة: ٧١، كذلك فإن الإسلام يدعو إلى التآلف والتراحم والتساوي في الحقوق والواجبات وأن أكرم الناس هو أتقاهم لله تعالى بينما القومية لا تقوم على هذه المفاهيم الجميلة بل تقوم على بغض الآخرين والتعالي عليهم والفخر بالأحساب والأنساب من مخازي الجاهلية التي حاربها الإسلام.**[٣٠]

تعقيب: بعد استعراضنا للأشياء التي استند إليها أصحاب الرأي المعارض للقومية، نود أن نقول: إن العالم العربي في هذه الآونة بالذات أحوج ما يكون إلي الاتحاد والتعاضد والتعاون من أي وقت مضى، لان الاستعمار يريد معاودة الكرة مرة أُخرى، والقوى العربية ضعيفة متفرقة بسبب ما

---

٢٩ انظر: بحث القومية العربية للشيخ /عبد الله عزام، ص ٢١ والقومية في ميزان الإسلام للدكتور /عبد الله ناصح علوان، ص ٥٢ وما بعدها، والغزو الفكري التحدي والمواجهة للدكتور /إسماعيل علي محمد ص ٤٠ وما بعدها.

٣٠ انظر القومية العربية للشيخ عبد الله عزام؛ صـ١٧ وما بعدها

يثيره الغرب من دعوات تدعو إلي التفرق والتشرذم، فليس لنا من حل إلا القومية والدين معا فالدين يدعو إلي حب الوطن والدفاع عنه، والقومية تطرح الوطنية والولاء للوطن؛ "فالوحدة العربية ضرورة حتمية ونقطة ارتكاز تمثل حاجة العرب للدفاع عن حقوقهم وللحيلولة دون تحقيق المشاريع الاستعمارية في المنطقة العربية، ولابد من الحفاظ علي ثقافتنا وهويتنا العربية" لان واضعي المشروع الأمريكي اعتقدوا أن المجتمع العربي لا يملك طبيعة تاريخية واجتماعية تضمن له الاستمرار في نظم حياته، وأن المجتمع العربي سيقبل الوصاية الأمريكية التي سيستطيع الارتقاء بفضلها بمستوى الحياة بجملة مبادئ وقيم عالمية محروم منها مجتمعنا العربي وهنا يبرز دور الثقافة العربية المتمثلة في التاريخ الشامل والمشترك وحضارتنا الواحدة لنظهر أمام العالم بأننا لسنا مجرد بدو إرهابيين كما يصورونا فلابد من التركيز علي ما يجمعنا"[٣١] فليست الدعوة إلي القومية كفر كما يدعون، فالاتحاد قوة فقد اتحدت أوربا وأصبحت قوة يُحسب لها ألف حساب، فما المانع من وحدتنا وحدة تقوم علي أُسس وقيم إسلامية عربية أصيلة، لقد أقر الإسلام نفسه بعض القيم والأخلاق التي كانت في الجاهلية من الكرم والشجاعة وغيرها، نعم يدعونا الإسلام لنبذ العصبية التي تفرق ولا تجمع، ومن تقديمها علي مبادئ وقيم الإسلام، إن من يقرأ تلك الأمور التي استندوا إليها ليراها تدعو إلي التفرق لا إلي الوحدة والتجمع، إن الغرب يُصدَر لنا شعارات للتنفير من الوحدة والقومية بأنها تعارض الدين، لان وحدتنا ضرر له، ألم يعش الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود المدينة وغيرهم ودافعوا عن وطنهم، ألم يعيشوا في سلم وأمان لولا أن نقض اليهود عهودهم.

الرأي الثاني: القائل بعدم المعارضة

يخلط البعض بالمقارنة بين ظهور القوميات الأوربية في مواجهتها للكنيسة ونفوذها وبين نمو الشعور القومي العربي فوسموا القومية العربية بالقياس في صراعها المفتعل مع الدين الإسلامي، وهذا قد أوجد خلطاً بائناً في المفاهيم وفي خلق تصادمية مختلقة بين القومية العربية والإسلام وروج لها الكثير ممن لبسوا العباءة القومية وبين أنصاف المتدينين بدعم مرئي وغير مرئي من أصحاب المشاريع الإستراتيجية الخادمة للوجود الصهيوني أو لمشاريعها الاستعمارية في الوطن العربي الغني بثرواته وموقعه الجغرافي المؤثر في رسم سياسة الصراع والتنافس الاستعماري والتسابق على اقتسام

[٣١] انظر جريدة الجماهير/ مقال للكاتب عادل عبد الحق، بعنوان القومية العربية بين الفكر والمقاومة

الأرض والثروات العربية والإمساك بالموقع الاستراتيجي براً وبحراً للوطن العربي ناهيك عن مصادر الطاقة والأسواق وحركة رأس المال. ونتيجة لهذا الخلط الكثير وبالقياس على الدولة القومية ظهرت هذه الدولة في أوربا بديلاً عن الدولة الدينية. وهناك خلطاً آخر هو وسم العلمانية للقومية كما في المصطلح الأوربي فانجر على القومية العربية بقصد أو بدون قصد جهلاً أو دراية بذلك لغايات عديدة باعتبار أن فهم القومية لا يكون إلا مجرداً عن الدين. إن القائلين بأن القومية العربية لا يمكن فهمها إلا وهي مجردة عن الدين الإسلامي وان تحميل القومية العربية الدين الإسلامي يعني خروجها عن الإطار التاريخي الصحيح. فهل هذا صحيح؟ إن القومية العربية موجودة قبل الإسلام.فجاء الإسلام تشريفاً وعزة للقومية العربية فلا الإسلام ضد القومية العربية ولا القومية العربية ضد الإسلام. فهنا لا يجوز نقد القومية العربية بأنها ضد الإسلام لان الإسلام قد وحد العرب برابطهم القومي.[٣٢]

فلا يجوز نقد الجماعات البشرية أو انتسابهم إلى أصولهم وأسماءهم، إن الوقوع في خطأ التشهير بالقومية العربية لأنها متقاطعة مع الدين ما هو إلا اجتراراً لدعوات رجال الكنيسة للقوميات الأوربية ووسمها بالعلمانية المتقاطعة معها أو انتقاد القومية العربية عبر تحميلها أخطاء الأنظمة السياسية الحاكمة في الأقطار العربية بعد الاستقلال والتحرر من الاستعمار الأوربي في صراعها مع الجماعات الإسلامية لهو خطأ فاضح وغبن فاحش للقومية العربية. وقد تمثل الهجوم على القومية العربية بأشكال وأنماط متعددة أهمها/ الغزو الثقافي/ والطعن بأنساب العرب والتراث العربي وحديثاً طعناً بالحضارة العربية التي تأسست على قيم الرسالة السماوية باعتبار العرب بيضة الإسلام وحاملي لواء الدين الإسلامي مبشرين وفاتحين رحماء وتجاراً نشروا الإسلام قبل الترويج لبضاعتهم أخلاقاً وسلوكاً إنسانياً في أفريقيا وآسيا من دون تعالٍ أو عصبية وتفرقة على أساس اللون والعرق زماناً ومكاناً. وان نقد مذهباً سياسياً حاكماً (سلطة) لا يمكن أن تتحمله القومية العربية أو الإسلام، فما الهجمة الراهنة على العرب والإسلام إلا من هذا الباب المستفز للعرب والمسلمين والمستهدف وجودهم في الحياة في عالم مضطرب تسوده القطبية الواحدة بحجة مكافحة الإرهاب أو تجفيف بؤر الإرهاب وما مقولة إن العرب والإسلام هم حواضن للإرهاب ومنتجين له لا تعدو غير ترويج

[٣٢] مقال العروبة أو القومية العربية ياسين جبار الدليمي/ منتدى التوحيد

وتظليل للعالم يصب ضمن الحملة العالمية ذات الأصول التاريخية المجترة عدواناً على العرب والإسلام أولاً وأخرا.

أما مقولة عصبية القومية العربية وتناقضها مع أممية الإسلام فقد حسمها الرسول: (أيها الناس ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم وإنما هي اللسان (اللغة) فمن تكلم العربية فهو عربي) ويعني هنا اللغة وليس القومية ومن موضع رده على الصحابي واثلة بن الأسقع (يا رسول الله امن العصبية أن يحب الرجل قومه؟ فيجيب لا ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم) وحديثاً نجد:

١- دعوة عبد الرحمن البزاز لذلك واضحة في تزاوج القومية العربية والإسلام بقوله: أن يكون الفرد قومياً مخلصاً لقوميته ومسلماً صادقاً لعقيدته في آن واحد.

٢- تقاطع بعض دعاة حركة القوميين العرب في العراق مع القومية العربية في عهد الناصرية وما بعدها باتجاهها نحو الفكر الماركسي بينما الناصرية تدين بالإسلام نهجاً إسلامياً واعتماد كتاب اقتصادنا للشهيد الصدر الأول دليلاً اقتصادياً عربياً إسلاميا.

٣- هناك من يدعي بان القومية العربية تريد الحلول باسم الإسلام بقومية الإسلام وهذا خطأ وتجني على القومية العربية وتلبيس الإسلام الدين الرحمة والسلام للبشرية وليس حكراً للعرب أو وصاية للعرب على الإسلام بصكوك البراءة أو الغفران أو الرضا، فالقوميون العرب هم عرباً دماً ونسباً برابطة الدم واللغة العربية الجامعة للعرب والمسلمين والقوميون العرب مسلمون عقيدتهم الإسلام

فهل هناك تعارضاً بين القومية العربية والعقيدة الإسلامية؟

وهل هناك تعارضاً بين القوميين العرب والإسلام؟

وهل الدعوة بالقومية العربية يتقاطع مع الإسلام؟

وهل الإسلام يتقاطع كلياً مع الدعوة القومية؟

فدولة باكستان قد قامت على أساس ديني (إسلامي) منشطرة من الهند.. وسكان البوسنة تمسكوا بدينهم رغم انحدارهم السلافي وعرب العراق لم يتخلوا عن انتمائهم القومي العربي في معركة ذي قار والقادسية ونهاوند ومسيحيو سوريا ولبنان لم يتخلوا عن انتمائهم القومي في

مواجهة فرنسا المسيحية المحتلة فالقومية العربية جامعة للعرب والإسلام يوحدهم بالرباط الروحي ولدين واحد

٤- هناك مقولة إحلال مصطلح العروبة محل القومية العربية وهذه دعوة تقرأ الفهم التاريخي للوجود العربي مقلوباً باعتبار اللغة العربية هي أوسع واشمل جمعاً للعرب والمسلمين من غير العرب، وهذه قد تحول العروبة إلى أممية عروبية برباط الإسلام وهنا يتشرف العرب برباط الإسلام ويشرف حب المسلمون للعرب ونطقهم باللسان العربي الذي هو لسان القرآن الكريم ولغة أهل الجنة. لكن الانتماء والانتساب شيء والرابطة القومية شيء آخر لمخالفتهما لشروط التكوين القومي.

٥- القومية مصطلح لا يفهم علمياً إلا إذا كان مجرداً عن الدين وان تحميله مفهوماً دينياً يعني خروج القومية عن إطارها التاريخي الصحيح.

٦- إن مصطلح العروبة يحتمل المفهوم الديني دون الإخلال بمقوماته.

٧- قد لا تكون العروبة دينية لكنها ليست اصطلاحاً ضد الدين.

٨- يجوز إسناد العروبة إلى النبي ونسبة العروبة إليه لكن لا يجوز نسبة النبي إلى القومية العربية ولا نسبة القومية العربية إلى النبي أو الإسلام أو أي دين آخر.

يتبين هنا من هذه الآراء:

١- إنها تتجاهل حقائق تاريخية وعلمية في عدة أسس منطقية شكلية وموضوعية تتعلق بشروط التكوين القومي سواء كان من تكون الأسرة والجماعة وتقديسهم للجد الأكبر وتطور هذا اتساعاً بالتقادم والتكاثر التناسلي العددي لهذه الجماعة وانتشارها وتحولها إلى جماعة كبيرة يجمعهم الجد الأكبر وتكون القومية وتطورها تكويناً بالأمة.

٢- إن العرب وحدهم من بين بني البشر يحتفظون بأنسابهم الموصلة إلى أجداد قبل ألاف السنين ويعتزون بها أيما اعتزاز ومقولة العرب أمناء على أنسابهم لدليل على ذلك.

٣- جاء الإسلام موصياً وأمراً بصلة الرحم وقول النبي (اعرفوا أنسابكم لتصلوا أرحامكم) فتمسك العرب بأنسابهم تمسكاً شديداً مع اختلاطهم بالشعوب الأخرى دونما علوية أو تعصب لان العرب قد فهموا الإسلام فهماً راشداً بعقلٍ واعٍ باشتراط الخيرية بالتقوى ((إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم)) و(لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى).

٤- إن القول أن مصطلح العروبة يحتمل المفهوم الديني دون الإخلال بمقوماته فكيف أمام حقيقة أن الدين قد وحد العرب فلم يقف الدين ضد الوحدة القومية العربية ألم يحتمل العرب القوميين المفهوم الديني في بناء الخلافة الراشدية؟.

٥- أما القول بجواز إسناد العروبة إلى النبي ونسبة العروبة إليه فهذا قول يراد باطلاً ومع قدسية واحترامنا لشخص النبي هل العروبة قد نشأت وتكونت بمبعث ووجود النبي الكريم أو إسناد النبي إلى العروبة فهذا الاصطلاح ظاهراً يكون شرفاً للعرب بالنبي وتشريفاً اكبر للعروبة نسبها للنبي لكن هذا الاصطلاح بالمفهوم الباطني قد جاء متأثراً بالفكر التوراتي اليهودي الذي حول الديانة اليهودية الى قومية عنصرية فلا ندري كيف يتحول معتنقي الدين من مختلف الأجناس إلى قومية جامعة بإسم الدين !؟ والقول إن القومية العربية لا تحتمل الدين فهو تناقضاً كبيراً يلحق من دعاته ضرراً فاحشاً بالقومية العربية.

٦- إن القول أن العروبة لا تكون دينية لكنها ليست اصطلاحاً ضد الدين فكيف يتم التمييز بنفي أن العروبة لا تكون دينية وإنما ليست اصطلاحاً ضد الدين؟ وأي دين؟ فالعرب قد تشرفوا بنزول كل الديانات وأرضهم مهبط الوحي من إبراهيم أبو الأنبياء وموسى وعيسى ومحمد وغيرهم من الرسل فقد استوعب العرب دعوتهم التوحيدية فالعرب هم العرب: (الأحناف على ملة إبراهيم) واليهود وأنصار.

المسيح والمسلمون أمرهم الله تعالى مؤمنون ببعثة خاتم الأنبياء والرسل محمد. فالقومية العربية لم تزل حاضنة للأديان فمع اعتناق أكثرية العرب للإسلام فلم يزل الكلدان إنجيليهم يقرأ بالعربية والصابئة يعتزون بانتمائهم القومي العربي واليهود الشرقيون يهود العراق وسوريا ومصر يعتزون بانتمائهم القومي العربي بعد انكشاف مرامي وأهداف الصهيونية وعنصريتها من حيث تعاطيها مع اليهود الشرقيين بعنصرية مفرطة. فكيف تميز بالنفي إن العروبة غير دينية ثم الاستدراك بمقولة المصطلح ليس ضد الدين) فكيف يستقيم هذا الخلط[٣٣] أما عدم فهم القومية فهماً علمياً إلا مجردة عن الدين وان تحميلها مفهوماً دينياً يخرجها عن الإطار التاريخي الصحيح. فهذا القول قد

[٣٣] إشارة لطرح حسن العلوي ذلك في كتابه الشيعة والدولة القومية في العراق العروبة والقومية العربية ص٣٣٣ طبعة دار الثقافة للطباعة والنشر. قم- إيران

جاء متأثراً بفهم تكون القوميات الأوربية المتصارعة مع الكنيسة وسلطاتها المطلقة وبالفهم المنطقي والملموس لعنصرية الصهيونية التي سعت لتحويل الدين اليهودي إلى قومية عنصرية فالقومية العربية تتحمل المفهوم الديني دون تعصب أو عنصرية.[٣٤]

وممن يري ذلك أيضا ساطع الحصري وهو من أشهر دعاتها، وميشيل عفلق وجورجي زيدان، ونصيف اليازجي وغيرهم وفي الوقت الحالي الدكتور محمد عماره، واليك رأيه.

ومن المنادين والمؤيدين للقومية العربية، وأنها ضرورة الدكتور محمد عماره فيقول: "إن أعداء الأمة يريدون أن يصبح الإخاء الديني، الذي يقرّره الإسلام إطاراً لتعايش الديانات المتعدّدة، ثغرة لتحطيم وحدة هذه الأمة القومية والوطنية، وأن تتحوّل الجزر البشرية غير المسلمة، بل وبعض المذاهب الإسلامية، أن تتحول من وسام على صدر هذه الأمة، يشهد بتحضّرها، إلى سبل للتجزئة، ووقود للفتنة، ومراكز جذب للتفتّت القومي والتشرذم الوطني، إنهم يريدون أن تعود هذه الأمة إلى جاهليتها الأولى".

ويشير إلى أن الشرق الطامح إلى التحرّر والوحدة، واجه الغرب الاستعماري بسيوف العرب، وتحت راية الإسلام في عصر الفتوحات، ثم عاد العرب فواجهوا هذا الغرب الاستعماري في الحروب الصليبية بالعصور الوسطى، وفي كلتا الحقيقتين والمواجهتين جمعت القومية والوطنية والمصلحة كل العرب، على اختلاف عقائدهم في الدين من المستعمرين والغزاة.

لم تأت دعوة الكتاب إلى الوحدة الوطنية والقومية من منطلق "تجاوز الدين واستبعاده"، بل من فكر الدين الحق ومنطلقه، فالدين ينكر كل ما يمسّ الوحدة الوطنية والقومية بسوء، وإن الكثير مما شاع ويشاع وانتشر وينتشر باسم الدين في هذا الحقل هو إلى التجارة بالدين أقرب منه إلى جوهر الدين.. خاصة إذا كان هذا الدين هو دين الإسلام.. الذي هو دين الله.. ودين كل المؤمنين بالله.

حضارة واحدة

وتحت عنوان. "حضارة واحدة" يؤكد د.عمارة حقيقة أن لهذه الأمة.. على اختلاف شرائع أبنائها الدينية، حضارة واحدة متحدة، ذات قسمات محددة طبعت وتطبع العرب أجمعين..

[٣٤] مقال للأستاذ / ياسين جبار الدليمي، منتدى التوحيد

وهي حضارة لا يماري أحد بأن وحدتها قد استعصت على سهام التجزئة والإقليمية التي سادت في فترات طويلة، وتغلّبت على آثار اختلافات المذاهب والشرائع، بل استفادت من ذلك التعدّد والاختلاف على الجبهة الفكرية، في إثراء محتواها وإغناء مضامينها، واكتساب الطابع الإنساني البريء من العنصرية وضيق الأفق والنظرة وحيدة الجانب للأمور.فمنذ أن ظهر الإسلام بذر رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم)، في واقع العرب، بذرة القومية والحضارة بمفهومها الإنساني، غير العرقي، وذلك عندما وضع للعروبة مفهوماً ومضموناً حضارياً بقوله لقومه: "أيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلّم العربية فهو عربي".

قومية واحدة

قال: "لقد خرجت هذه القسمات القومية المشتركة إلى الوجود قوية مناضلة، لأنها ولدت ونمت واشتد عودها في بوتقة تموج بعوامل الصراع، ووسط تيارات متنازعة وأعاصير غير مواتية"، ويضيف: "تقاسمت النشاط على ساحة الدولة العربية في القرن الأول الهجري تيارات الشعوبية، والعصبية العربية، والقومية العربية".

أما القومية العربية فظهر تيارها ليعبّر عن الضرورات التوحيدية لهوية أبناء الدولة الجديدة، وليعكس حقائق الواقع الجديد الزاخر بالمصالح الموحدة لأبناء هذه الدولة، بصرف النظر عن الأصول العرقية والخلفيات الحضارية التي كانت سائدة قبل نشأة هذا الواقع التوحيدي الجديد، وبصرف النظر عن الشرائع الدينية والتيارات الفكرية التي تتوزعهم.

ويبرز الكتاب قسمات وشروط القومية المتمثلة بأرض مشتركة، ولغة مشتركة، وتكوين نفسي مشترك، وسوق تجارية واحدة واقتصاد متحد، لكنه يطرح تساؤلاً هاماً مفاده: ماذا صنعت الدولة؟ إذ يرى الكاتب أن "الدين" براء من تبعة الطائفية والشقاق الديني، أما "الدولة" فعليها تقع التبعة كاملة فيما شهده التاريخ من صفحات شوّهتها الطائفية وأذهبت بهاءها أحداث هذا الشقاق.

ويشير إلى مثال هام على دور الدولة في عرضه لما ورد في الدستور الأول للدولة العربية الإسلامية التي أقامها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، والمهاجرون والأنصار بالمدينة، وفيه وضع الأساس الأول والمتين للدولة التي لا تميّز، في السياسة وشؤونها، بين المواطنين بسبب الاختلاف في

الشرائع الدينية، ولقد تحدّث هذا الدستور– الذي سمي بالصحيفة وبالكتاب . عن القبائل التي كوّنت رعية الدولة.. وكانت كثير من قبائل المدينة قد دخلت فيها اليهودية، وبقي أكثر اليهود من أبنائها على شريعتهم، على حين دخلت قطاعاتها غير اليهودية في الإسلام.. فلما تحدث الدستور عن الرعية، ذكر القطاعات اليهودية من هذه القبائل، كما ذكر القطاعات الإسلامية، وقرر أن الجميع، رغم اختلاف الشريعة، هم رعية الدولة الجديدة الواحدة.. وأنهم متساوون في حقوق المواطنة.. بل ويكوّنون "أمة واحدة".

دعوة للأمة.. أن تستيقظ

ويدعو الكاتب الضمائر المستنيرة لهذه الأمة أن تستيقظ للخطر الذي يهب على وحدتها، بين الحين والحين، من أهواء السياسة وشهوات السلطة، وأعداء تحررها وتقدمها المتربصين بها الدوائر عبر تاريخها الطويل.. ويدعو العقول المستنيرة لهذه الأمة أن تستيقظ لما يلقيه في ساحتها، أنصار الطائفية والشقاق الديني، كما يدعو جماهير الأمة أن تعي حجم الخطر الذي يتهدّدها من وراء الطائفية وباسم الشقاق الديني.

فبالوحدة الوطنية والقومية نستطيع أن نجابه إعصار التشرذم الطائفي والعنصري، وبغيابها تتآكل جبهة صمودنا أمام الأعداء، والوحدة القومية لن تبنى بموقف منفرد.. ولا بجهود فريق واحد، ولن تورق شجرتها وتثمر إلا في مناخ من الفكر الديني العقلاني والمستنير.

ويختم د. محمد عمارة كتابه بالقول: "نعم.. نحن عرب.. وبقدر ما على طريق وحدتنا من عقبات وأشواك، بقدر ما في ترسانة هذه الأمة من أسلحة فعالة في النضال الوحدوي.. وديننا الإلهي الواحد من بين هذه الأسلحة، على الرغم من استخدامه لخدمة الطائفية والشقاق الديني، من قبل البعض، في بعض الأحيان، وبقدر ما تكشف هذه الصفحات، لأمتنا، عن مكان الإسلام ودوره في التآلف الوطني والوحدة القومية، تكون السعادة التي تغمر صاحب القلم المناضل على هذا الطريق".

المطلب الرابع: نقد الفكر القومي:

ان نقد أي فكر يتطلب دائما الموضوعية والحياد، وهذا ما سنحاوله بإذن الله تعالي

بعد هذا العرض للموضوع ومدى التعارض والاختلاف في التعريف وأسباب النشأة في الغرب الأوربي وأراء كلا الطرفين من المؤيدين والداعين إلي القومية وتبريراتهم لقيامها، فيقولون:

كيف يجوز لأمة تملك: وحدة الحضارة، والقومية، ويدعوها ربها إلى وحدة الدين، وإخاء كل المؤمنين أن تنام- غافلة- على الخطر الذي يهدّد حضارتها وحاضرها وحلمها في الوحدة والتقدم؟! ولماذا نظلم الدين، فنجعله أداة فرقة وبغضاء.. على حين أراده الله: جامعة وحدة وإخاء لكل الذين يتوجهون بقلوبهم إلى السماء![٣٥] ورأينا أيضا الرأي الثاني المعارض للقومية وقيامها في بلاد المسلمين باعتبارها لا تتوافق مع ما جاء به الدين الحنيف من قيم ومبادئ تجمع المجتمع ولا تفرقه وتدعو إلي الوحدة والاعتصام بحبل الله تعالي، رأينا أن لهذا الفكر تجاوزات لابد من ذكرها منها.

١- إضفاء الصبغة التاريخية علي الإسلام بعّده مرحلة ماضية من تاريخ الأمة العربية، فالقومية العربية هي الفكرة الشاملة والإسلام جزء منها يقول ميشيل عفلق: الفكرة القومية المجردة في الغرب منطقية اذ تقرر انفصال القومية عن الدين، لان الدين دخل علي أوربا من الخارج، فهو أجنبي عن طبيعتها وتاريخها وهو خلاصة من العقيدة الأخروية والأخلاق، ولم ينزل بلغاتهم القومية، ولا أفصح عن حاجات بيئتهم ولا امتزج بتاريخهم، في حين أن الإسلام بالنسبة إلي العرب ليس عقيدة أخروية فحسب، ولا هو أخلاق مجردة، بل هو أجلى مفصح عن شعورهم الكوني ونظرتهم إلي الحياة وهو فوق ذلك كله أروع صورة للغتهم وآدابهم، وأضخم قطعة من تاريخهم القومي، فلا نستطيع أن تتغني ببطل من أبطالنا الخالدين بصفته عربيا، ونهمله أو ننفر منه بصفته مسلما "ويقول أيضا" فالإسلام إذن حركة عربية، وكان معناه: تجدد العروبة وتكاملها".[٣٦]

٢- ومن أكثر تجاوزات الفكر القومي والتي تخصنا نحن المسلمين إعطاء القومية مضمون عقدي بحيث تصبح عقيدة أو دينا يحل محل الأديان.، وقد عبر الأستاذ محمد المبارك عن هذا التجاوز للقومية بقوله " ولقد أخذت الفكرة القومية أشكالا وصيغا مختلفة: فكانت شعورا طبيعيا في بداية الأمر لا يتجاوز شعور الإنسان بانتمائه لأسرة معينة أو قبيلة أو نسب وهي في هذه الحدود أمر طبيعي لا يتعارض مع الشعور الإنساني ولا مع الأخلاق ولا مع العقيدة الدينية، ثم اشتد هذا الشعور في نطاق ظروف معينة بدأت من رد الفعل عند العرب مثلا تجاه العصبية

[٣٥] انظر الاسلام والوحدة القومية للدكتور /محمد عماره صـ١٠ ط.المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٧٩.

[٣٦] انظر، تاريخ الجاهلية للدكتور /عمر فروخ، صـ٤١، ٤٣

التركية التي غذاها ملاحدة الأتراك من جماعة الفتاة والاتحاد والترقي، واستمرت واشتدت في عهد الاستعمار الفرنسي والانجليزي في بعض البلاد العربية، واتخذ هذا الشعور حينئذ شكل مذهب أو خطة هدفها توحيد البلاد العربية وتحريرها، وكانت هذه الصيغة في الحقيقة تمهيدا لمرحلة ثالثة خطيرة وهي اتخاذ القومية مبدأ بل فلسفة بل عقيدة بالمعني الحقيقي لهذه الكلمة.[1]

ومما يؤكد هذا التجاوز هذه العبارات التي تحدث بها بعض القوميين والتي منها.، يقول محمود تيمور: (وان كتاب العرب في أعناقهم أمانة هي أن يكونوا حواريين لتلك النبوة الصادقة- القومية- يزكونها بأقلامهم)، ويقول علي ناصر الدين: (العروبة نفسها دين عندنا- نحن القوميين العرب- المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين، ولئن كان لكل عصر نبوته المقدسة، إن القومية العربية لهي نبوة هذا العصر)،([37]) جاء في مجلة العربي، عدد ٢ ص ٩ يناير ٥٩: (الوحدة العربية يجب أن تنزل من قلوب العرب أينما كانوا منزل وحدة الله من قلوب قوم مؤمنين)، ويقول عمر فاخوري: (لا ينهض العرب إلا إذا أصبحت العربية- أو المبدأ العربي- ديان يغارون عليها كما يغار المسلم على قرآن النبي الكريم وغرضي من هذا الكتاب تشكيل ديانة جديدة هي الجنسية أو العنصرية العربية).([38]) إن مثل هذه الأقوال لكافية في رفض القومية والداعين إليها، ولكن الي جانب هؤلاء يوجد المؤيد والمدافع عنها.

٣- **المؤيدون رأوا فيها نهضة بالأمة العربية وفرصة لتقوية الانتماء العربي، وعاملاً مهمًا من عوامل سد ثغرات التفرق والشتات، وعاملاً من عوامل انصهار الجنس الواحد داخل أيديولوجية فكرية موحّدة تتصدر صنع القرارات وتُوجّه مسار الأمّة. كما أن هذه الحركة تهدف إلى تحقيق استقلال الشعب العربي استقلالاً تامًا، وبعث الحضارة العربية وتحقيق أكبر قدر من الوحدة والتماسك بين أبناء العروبة التي تشكل في النهاية مستقبل الأمة العربية. وهي أيضًا . في رأي المؤيدين . كانت وراء انتصارات العرب في حروبهم ضد إسرائيل والصهيونية في الخمسينيات من القرن العشرين الميلادي مثل حرب السويس والجزائر، وفي دعم مسار القضية الفلسطينية وغيرها من القضايا.**

---

[37] انظر كتاب: قضية العرب ط٣ /علي ناصر الدين

[38] انظر كتاب: كيف ينهض العرب /عمر فاخوري

ونحن نري أن لها مساوئ ومزايا شأن أي فكر بشري، فيه من الخير وفيه من الشر وقد تناول هذا الفكر العديد من الدراسات الشرقية والغربية، كما رأينا خلال البحث ولكننا نؤيد القومية الاسلامية العربية المبنية على جميع الاسس التي تناولها كلا الطرفين المؤيد والمعارض، لأنها كلا يكمل بعضها بعضا، وخاصة في وقتنا الحاضر اذي يحاول الغرب عودة الكرة مرة أُخري علي العالم الاسلامي العربي وإلصاق التهم به مثل الارهاب والعنف، فلنأخذ من كل أجمل ما فيه.

الخاتمة وبعد هذا العرض للموضوع من عدة زوايا نريد أن نضع ختاما للموضوع فنقول: إن القومية واقع حياة كما أنها وجود اجتماعي لا يمكن إنكاره، ظهرت الدعوة إليها حديثا في أوربا بعد أن تخلصت من التسلط الديني للباباوات والاستبداد السياسي للإمبراطوريات فظهرت الدعوة إلي القومية لكل دولة والتي تتكون من ثقافتها ولغتها وقيمها وتقاليدها التي تميزها عن غيرها، وجعلها مصدر افتخار لها وتجعل حب الوطن والافتخار به من العبادة وتسعى لفرض ثقافتها علي غيرها ولو بالقوة وتبعتها في ذلك معظم الدول العربية في فترة الاستعمار والدعوة إلي التحرر والاستقلال، ولا شك أن هذه النظرة القومية الضيقة تعارض ما جاء به الإسلام الذي يبني نظامه على المساواة بين كل الأجناس في الحقوق والواجبات، فالناس شعوب وجماعات متفرقة ومن بين هذه الشعوب والجماعات تكونت دولة الإسلام دون تعصب لجنس أو قوم لم يكن التفاضل بينهم إلا بالتقوى فقط، أما دعوى التعارض والتوافق بين القومية والإسلام نستطيع أن نقول فيها: أنه يمكن التفريق بين قوميتين الأولى: قومية عنصرية وهي التي ترى أبناء جنسها أفضل البشر وأن غيرها عبيد لها وأن القومية هي المنقذ للبشرية مما تردت فيه وهذه يرفضها الإسلام، لأنها ضد قوله تعالي (إن أكرمكم عند الله اتقاكم) وقد عكس بعض القوميون العرب القومية بهذا الشكل **فكانوا دائما يصرحون بأن الدعوة إلى القومية ليس معناها الدعوة إلى الدين لأن كل الناس عباد لله تعالى وكلهم يريدون الحياة السعيدة في الدنيا وما بعد الحياة الدنيا وهذا لا شأن للقومية به بل يعتبرون الدعوى إلى الدين دعوى ناقصة عن تحقيق طموحات القوميين بل إنها رجعية في نظرهم ويجب فصله عن الدولة أيضا. انسياقا مع مفاهيم الحركات الأوروبية التي قامت في البداية على القومية وحرب الدين بل وصل طمع دعاة القومية أن تكون بديلا عن النبوات وأن نبوة القومية يجب أن يبذل لها كل غال ورخيص وأن يكون الإيمان بها أقوى من كل الروابط وجعلوها في الكفة الأخرى مع الإيمان بالله تعالى وأنها يجب أن تكون هي الديانة**

لكل عربي ولذلك جوبهت ورُفضت ونحن نرفضها تماما بهذا الشكل فقد نبتت هذه القومية في أرض غير أرضنا وفي قيم وتقاليد غير قيمنا وتقاليدنا، إنها ذات شعارات براقة جذابة مثلها مثل بقية المذاهب والتيارات الهدامة المستورة من الغرب فلابد من التنبه والاحتراز منها. **والثانية:** قومية بناءة تهدف إلي التقدم بالشخصية وتقدم القوم لما فيهم من الأخلاق والكرامة والسبق في الإيمان والتقوى، وهذه القومية أخف وطأة وأكثر احتراما للإسلام وباعتبار القومية واقع حياة نحياها وهي في تطور مستمر، فإننا لا يمكننا التنكر لهذا الفكر ولا أن نقف مكتوفي الأيدي أمام التطور العالمي بل علينا أن نأخذها ونهذبها ونطورها ونعمل بالمقدار البناء منها وتهذيبها من الشوائب العالقة بها التي بثها بين أدبياتها نماذج متغربة حاولت أن تعتبر القومية الدين الجديد الذي يجب علي الأمة أن تدين به " فالقومية العربية تفرض أول ما تفرض عدم التفرقة بين أفراد الأمة العربية، لان وجودهم القومي العربي قد وحدهم بروابط اللغة والتاريخ والوطن والثقافة والآمال والآلام وطبعهم بالشخصية القومية العربية بغض النظر عن معتقداتهم الدينية والتاريخ العربي لم يفصل أبدا بين المسلمين وغير المسلمين إلا حينما بدأ الاستعمار يستغل الشعور الديني لتفرقة الأمة العربية الواحدة"[٣٩] ونحن نقول بأن الدين يشمل جميع الأسس التي تقوم عليها القومية وفي نفس الوقت لا تناقض إخوة الإسلام، نعم هناك مساوئ للقومية منها ما ذكره الرأي المعارض للقومية وهناك أكثر منها مثل ارتباطها بالعلمانية لأنها ترفض التمسك بأي نظام ديني، لكن العيب ليس في النظم ولا في من يروجون لها، العيب كل العيب فينا نحن المسلمون الذين تخلينا عن تمسكنا بديننا، ومبادئه، وذلك **لان الإسلام لا يقف في طريق الشخص إذا انتسب لقومه أو لوطنه أو أهله بل إنه يشجع هذا المسلك ويحبذه إذا كان على أساس التواصل وصلة الرحم بل أخبر الله تعالى أن انقسام الناس إلى شعوب وقبائل هو أمر منه عز وجل، وأن الحكمة من وراء هذا بينها عز وجل بقوله: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ [الحجرات:١٣]. وقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم أن ينتسب الشخص إلى غير أبيه أو ينتمي إلى غير مواليه[٤] ولا يمنع كذلك أن ينتسب الإنسان إلى الوطن الذي يعيش فيه ولا لوم عليه إذا أحبه لا على أساس الفخر**

[٣٩] انظر: محمد والقومية العربية للدكتور/ علي حسن الخربوطلي ص١٤١

الجاهلي وإنما لأنه وطنه الذي أواه فإن تلك الأمور كلها لا حرج فيها وواقع تعيشه البشرية كلها ولا يمنعها الإسلام إلا في حالة واحدة وهي الحالة التي يصبح ولاء الناس ومعاداتهم ومحبتهم واجتماعهم وافتراقهم كله قائم على دعوى القومية والتعصب لها وتقديمها على مبادئ الإسلام لأن هذا الوضع منحرف لأنه يصبح تشريعا جديدا لا تستند فيه مشروعية إلا على الحكم الوضعي البشري لا إلى حكم الله تعالي، فلنحيا كما أمرنا الله تعالي ونتعاون علي البر والتقوى، لا علي التفرق والتشرذم، تحت مظلة الدين أولا ثم اللغة والثقافة والأرض والتاريخ وكل مقومات القومية، إن ما يحدث ألان في البلاد الإسلامية ليدعو إلي الحزن والأسى من تفرقها وانخداعها وراء الشعارات وفي النهاية تُتهم بالإرهاب، وتُحارب ويقتل بعضهم بعضا، وليعيشوا هم في أمن وأمان طالما المسلمون يتقاتلون، وتلك هي الخطة الماكرة التي يريدها اليهود فلنصحو من غفلتنا ولنعد إلي إسلامنا، بتطبيقه علي أنفسنا وفي بيوتنا قبل أن نأمر الناس بتطبيقه، بالعمل الدءوب المخلص والخالص من المصالح الشخصية بالإخلاص لله تعالي أولا وأخرا، هذا ما يريده الله تعالي من المسلمين (وقل اعملوا فسيري الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلي عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون).

المصادر والمراجع

١) القران الكريم

٢) صحيح البخاري/ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت الطبعة الثانية

٣) صحيح مسلم /ط دار الكتب العلمية بيروت

٤) الجذور التاريخية للقومية العربية للدكتور/ عبد العزيز الدوري، ط.مركز دراسات الوحدة العربية ٢٠٠٨

٥) الخطوط والتعاريف الاصطلاحية في المعاجم والموسوعات الأوربية، مجلة تحولات، العدد الثامن عشر ٢٠٠٧ القومية والقوميون، ترجمة د/ماري شهرستان

٦) دراسة تاريخية ومعرفية في عناصر تكوين القومية العربية للأستاذ/ حسن خليل غريب

٧) العروبة أو القومية العربية/ ياسين جبار الدليمي/ مقال في منتدى التوحيد/ شبكة ناصر الاخبارية فبراير ٢٠١٥م Nasser News Network

٨) الغزو الفكري التحدي والمواجهة للدكتور/ إسماعيل علي محمد/ ط دار الكلمة ٢٠١٣ الطبعة الثانية

٩) الإنسان والحضارة للدكتور/ عبد الوهاب المسيري/ مكتبة دار الهلال ٢٠٠٢

١٠) القومية العربية للشيخ/ عبد الله عزام/ موقع
www.Moslim.se/maktaba/kotob/melal qawmlyah- azzam.htm

١١) القومية في ميزان الإسلام للدكتور/ عبد الله ناصح علوان/ ط دار السلام للطبع والنشر والتوزيع/ الطبعة الاولى ١٩٨٠

١٢) القومية وأثرها المدمر علي وحدة الأمة الإسلامية للأستاذ/ كمال حبيب، منتديات ستار تايمز موقع WWW. Startimes.com/F.asbx

١٣) المعجم الوجيز إصدار مجمع اللغة العربية عام ١٩٩٧

١٤) النهاية غي غريب الحديث لابن الأثير/ ط دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت ١٩٧٩

١٥) تجديد التاريخ للدكتور/ عمر فروخ، ط. دار الباحث للطباعة ١٩٨٠

١٦) جريدة الجماهير/ مقال للأستاذ عادل عبد الحق

١٧) في مواجهة أزمة عصرنا للدكتور/ سمير أمين، ط. دار سينا للنشر ١٩٩٧

١٨) لسان العرب لابن منظور/ ط دار بيروت للطباعة والنشر

١٩) محمد والقومية العربية للدكتور/ علي حسن الخربوطلي/ ط مؤسسة المطبوعات الحديثة ١٩٥٩

٢٠) مختصر ابن كثير للصابوني

٢١) مصطلحات الفكر الحديث للأستاذ/ سامي خشبه/ مكتبة الاسرة ٢٠٠٦

٢٢) مقال للأستاذ/ كمال غبريال

٢٣) منتدى التوحيد

٢٤) منتدى صيد الفوائد

٢٥) نشوء القومية العربية للدكتور/ زين علي الدين زين، ط. دار النهار بيروت ١٩٧٩

٢٦) واقعنا المعاصر للاستاذ/ محمد قطب، الطبعة الاولى ١٩٩٧، دار الشروق